ديزيره سقال

كتاب الأناشيد

٢٠١٨

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
أ. علاء الدين شوقى
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

ديزيره سقال

كتاب الأناشيد

٢٠١٨

السّندبادُ يعود إلى خرائب بيروت

"بيروت الرومانية. كانت فيها مدرسة
الحقوق. خربت وضاعت في البحر."

تَمَنَّيْتُ لَوْ يَصْدَأُ اللَيْلُ حَوْلي
وَيَسْقُطُ وَحْشُ المسافَةِ
بَيْني وَبَيْنَ الظّلامِ الَّذي لَفَّ قَلْبي...
تَمَنَّيْتُ لَوْ يَسْتَفيقُ المدى
في زَمانِ الوُضوءِ الَّذي يَسْبُقُ الذِّكْرَياتْ.
وَطَنٌ في شُقوقِ الزَّمانِ
يُفَجِّرُ زَهْوَ الحَياةْ...
وَطَنٌ يَتَفَجَّرُ كَالْمَحْوِ
تَحْتَ نِعالِ الطُّغاةْ.

***

تَمَنَّيْتُ حينَ نَظَرْتُ إِلى الأُفْقِ
يَرْحَلُ مِلْءَ السَّفينْ

لوَ آنّي أُشَطِّطُ في زَهْوِ أَرْضي
وَتَمْتَدُّ أَرْضي
لِتُصْبِحَ راياتُها صَوْتَ رَفْضي
يُزَغْرِدُ فَوْقَ الجَبينْ...
تَمَنَّيْتُ آهِ! يُفَجِّرُني البَحْرُ
مُنْحَطِمًا في زَوايا الوُجودِ، وَأَرْضي
رُكامٌ يُلَمْلِمُهُ شَعْبُهُ
بارِدًا مِثْلَ وَجْهِ الرَّدى
وَانْفِجارِ الحَنينْ.

***

تَمَنَّيْتُ لَوْ طِرْتُ في الوَحْيِ
أَخْرُجُ مِنْ زَمَنٍ حاصَرَ الأَرْضَ كَالعَنْكَبوتْ
وَرَدَّ المروجَ خَرابًا،
وَصارَ فَضاءً لِشَعْبٍ يَموتْ...
تَمَسَّكْتُ بِالضَّوْءِ وَهْوَ سَرابٌ،

وَبِالشَّعْبِ وَهْوَ حُطامٌ
تَناثرَ كَالخِرَقِ البالِيَهْ
وَباتَتْ عُيوني
تُمزِّقُها الضِّحْكَةُ العالِيَهْ:
جِباهٌ تُكَوِّرُها صَرْخَةُ الجَبْرَؤوتْ
وَتَزْهو الطُّغاةُ عَلَيْها
كَفَنِّ القَصيدَةِ يَكْتُبُها الوَحْيُ. آهٍ!
خَرَجْتُ إِلى مَوْطِني:
لَيْسَ في وَطَني
غَيْرُ صَوْتِ المسوخِ الَّتي زَعَموها رِجالًا،
يَداها مَباخِرُ
وَالحَقُّ في صَوْتِها
مِثْلَها: حَطَبٌ غُيِّبَ الدَّمُ فيهِ،
يَموتْ...

(١٣/ ١٠/ ٢٠٠٠)

قصيدة خليل حاوي
(أو سمفونيّة الغضَب)

(خليل حاوي: شاعر من لبنان حمل همّ القضية العربية، وانتحر احتجاجًا على الصمت العربيّ والتّقاعس عندما اجتاحَت إسرائيل أوّل عاصمة عربية وسط صمت عربيٍّ رهيب...)

- ١ -

غَضَبٌ على الطَّرَفَيْنِ يَصْهَلُ
وَاحْتِضاراتُ اللَيالي في احْتِضاري.
مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ ذَلِكَ التّاريخُ وَالمَوْتى
لِتَذْوِيَ رايَةَ الدُّنْيا،
وَيَنْكَسِرَ انْتِظاري...؟

غَضَبٌ لِمَجْزَرَةِ الصَّدى...

غَضَبٌ لِأَحْلامٍ وُئِدْنَ عَلى مَرارَتِهِنَّ...
وَجْهُكَ سُنْبُلٌ
طَعَنَ الرِّماحَ بِقَمْحِهِ
لِيُبَرْعِمَ الخُبْزَ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ
عانَيْتُ أَمْواجَ انْكِساري:
خُبْزٌ لِأَحْلامٍ يُبَدِّدُها وَطَنْ.
خُبْزٌ لِدَيْجورِ الكَفَنْ.
خُبْزٌ لِجوعِ العَصْرِ يَهْوي خَلْفَهُ
بَرْقٌ تَكَسَّرَ في العَفَنْ...
وَيَظَلُّ وَجْهُكَ حاضِرًا حَتّى الجُنونِ
كَأَنَّ في عَيْنَيكَ نارًا فَوْقَ نارِ
وَكَأَنَّما الدُّنْيا هَباءٌ
أَوْ شِراعٌ نَظَّمَ التّاريخَ جُلْجُلةً رَذادًا
في جُنونِ البُؤْسِ.
نارٌ فَوْقَ نارِ
وَاللَيْلُ مُنْطَفِئٌ عَلى بَرْدِ الثُّلوجِ

يُقيمُ في كُلِّ القُلوبِ
مَناحَةً لِلْعائِدينَ إلى الرَّدى.
صَدِئَ الرَّدى...
صَدِئَ الزَّمانُ عَلى المدى...
صَدِئَ الزَّمانُ عَلى انْكِساري...

- ٢ -

غَضَبٌ يُزَغْرِدُ صامِتًا
في ظِلِّ حَمْحَمَةِ الخُيولْ
وَمَلامِحِ السَّيْفِ الَّذي يَبْكي عَلى طَفَراتِهِ
تَحْتَ الجَليدِ
وَتَحْتَ أَحْذِيَةِ المغولْ...
ما زالَ طَعْمُ العارِ مِنْ أَلْفٍ
يُزَغْرِدُ، يا خَليلُ، عَلى الجِباهْ،
وَيَفورُ كَالتِّبْنِ المُدَوّي
عَبْرَ أَبْياتٍ مِنَ الزُّلْفى

تُرَجَّعُ في الشِّفاهْ.
ما زالتِ الرُّؤْيا رَمادًا بارِدًا
يَمْتَدُّ في أَرْضٍ بَوارِ
لَمْ تَغْتَسِلْ في الرَّعْدِ مِنْ أَلْفٍ
وَأَغْوَتْها دَياجيرُ المتاهْ:
أُمَمٌ يُزَوْبِعُها الدَّمارُ عَلى الدَّمارِ،
أُمَمٌ تُفَرِّقُها العُروشُ عَلى ثَنايا بابِلٍ
وَكَأَنَّها لَمْ تَعْرِفِ الرَّعْدَ المزَغْرِدَ
في سُيوفِ "الفَتْحِ"
يَرْفُلُ فَوْقَ رَقْصاتِ الشِّفارِ...
أُمَمٌ تَفورُ عَلى تُرابِ الأَرْضِ كَسْلى،
لا تُنَجّيها الرُّؤى/ أَوّاهُ!
كَمْ ذَرَفَتْ دُموعُكَ في دِماها، يا خَليلُ،
وَعانَقَتْ رُؤْياكَ ضَوْعَ الفَجْرِ
في عُمْقِ الأَصالَةِ،
كَمْ تَفَجَّرَ حَرْفُكَ المشْحونُ بِالغَضَبِ

لِيُهيلَ مِنْ رُؤْياهُ فَوْقَ جُسومِنا
بَعْضَ الكَرامَةِ، أَوْ
لِيَصْرُخَ فَوْقَ جُثَّتِنا
وَيَرْشُقُها بِنَبْضٍ مِنْ حَياةٍ،
غَيْرَ أَنَّ اللَيْلَ رَدَّ مَلامِحَ العَرَبِ
فَحْمًا بِلا شَكْلٍ وَلا عَصَبِ
وَيَدَينِ مِبْخَرَتَينِ لِلزُّلْفى،
وَأَقْنِعةً بِلا وَجْهٍ
تُهَوِّمُ في ٱنْكِسارٍ...
في ٱنْكِسارِ...

جُثَثٌ... وَأَحْلامٌ يُفَتِّتُها
صَهيلُ المَوْتِ في رُعْبِ الجُثَثْ.
كَمْ لَخَّصَتْ في دَمْعِها المَكْسورِ
تاريخَ العَبَثْ!

- ٣ -

غَضَبٌ لِأَحْلامِ الفُتوحِ،
يَمُرُّ في وَجْهي زَمانٌ باردٌ حَتّى الصَّقيعِ...
وَتَنْحَني فَوْقي:
ٱنْكِسارُكَ موجِعٌ
لَكِنَّ وَجْهَكَ يَفْتَحُ التّاريخَ لِلآتي
وَيَخْتَرِعُ البُروقَ مِنَ المحيطِ إلى الخَليجِ،
مِنَ الخَليجِ إلى البِحارِ...
وَيَمُرُّ مُنْتَزِعًا جُذورَ الذُّلِّ
في تاريخِنا المقْهورِ:
"كُنْ فَيَكونَ"...
وَجْهُكَ وَجْهُنا
لَكِنَّ في بَرْدِ المرارَةِ غَيْهَبًا
مَطَّ الثَّوانِيَ فَاسْتَحالَتْ أَعْصُرًا
وَعَدا عَلى الزَّمَنِ العَقيمِ فَصارَ تاريخًا،
وَأَرَّخَ لِلْعُروشِ عَلى ٱنْكِساراتِ النَّهارِ:

في كُلِّ عَرْشٍ مَجْزَرَهْ...
في كُلِّ عَرْشٍ مِقْبَرَهْ...
هَوَتِ الرِّجالُ
وَظَلَّتِ الأَنْصابُ قائِمَةً
عَلى لَيْلٍ فَقيرٍ
يَرْتَعي في روحِنا،
وَيُعَبِّئُ الأَجْيالَ بِالقَشِّ البَوارِ
أَللَيْلُ يَكْسِرُ ما تَعالى
مِنْ سُيوفِ "الفَتْحِ"
في غَضَبِ المروءَةِ وَالشِّفارِ،
أَللَيْلُ فَوْقَ اللَيْلِ يَبْتَلِعُ المكانَ
وَيَحْتَمي بِالعَرْشِ مَزْهُوًّا
عَلى دُنْيا نِثارِ...

- ٤ -

غَضَبٌ مِنَ القَهْرِ المؤَصَّلِ عَبْرَ آصالِ الهَزائِمِ.

لَمْ يَعُدْ في مُهْجَتي غَيْرُ الدُّخانِ
وَغَيْرُ آفاقٍ
مِنَ الحُلُمِ المصَفَّحِ وَالهَباءْ.
وَطَنٌ يُزَلْزِلُهُ الرِّياءْ.
وَطَنٌ يَجوعُ إلى صَفاءِ النّورِ
تُلْهِبُهُ جِراحُ الرَّعْدِ في شَبَقِ المدارِ.
وَطَنٌ تُمَزِّقُهُ العُروشُ
وَأَلْفُ مَسْخٍ مِنْ مُسوخِ الذُّلِّ
يَجْلِدُها الدُّوارُ عَلى الدُّوارِ.
وَطَنٌ يُخَلِّفُ في المدى
أَشْتاتَ تاريخٍ
هَوى مُتَفَسِّخًا عَبْرَ الدُّروبِ.
كَأَنَّما جُنَّ الزَّمانُ
فَفَجَّرَتْهُ صَوْلَةُ العارِ الَّتي انْجَذَرَتْ
عَميقًا في القَرارِ.
عارٌ يُطَأْطِئُ جَبْهَةً

قَطَفَتْ عَناقيدَ الضِّياءِ مِنَ الغُيوبِ...
عارٌ يُكَسِّرُ قامَةً
شَمَخَتْ عَلى الفُرْسانِ
في غَضَبٍ طَروبِ...
أَوّاهُ! كَمْ عَصَفَتْ رِياحُ الجَرْدِ في وَجْهي
وَزَلْزَلَتِ البُروقُ مَلامِحَ العُشّاقِ،
كَمْ هَصَرَتْ مَلامِحُكَ الخَبيئَةُ
ما تَجَلّى في غُصونِ الرَّعْدِ،
أَوْ سَرَّبْتَ عِشْقَكَ في فُؤادي
فَاعْتَصَمْتُ بِقَلْبِكَ الصِّدّيقِ!
كَمْ هاجَرْتُ في "صَنّينَ" أَبْحَثُ عَنْ شَرارِ...
وَيَمُرُّ وَجْهُكَ فَوْقَ ضَوْعِ الصَّعْتَرِ البَرِّيِّ:
"كُنْ فَيَكونَ"...
هَذا اللَيْلُ يَفْتَحُ قَلْبَهُ لِلمُسْتَحيلِ
وَيَحْضِنُ النَّعْناعَ في عُمْقِ الوُعورِ/
هُناكَ صورَتُنا

وَلَكِنَّ البَقايا زَلْزَلَتْ طَبْعَ السَّديمِ
فَقامَ لَيْلٌ قاحِلٌ
يَجْتاحُ أَرْحامَ المدى...
هَلْ كُنْتَ غَيْرَ الرّيحِ تَعْصِفُ في وُعورِ الجَرْدِ
يَقْضِمُها الصَّدى؟
هَلْ كُنْتَ غَيْرَ "الجِسْرِ"
نَعْبُرُ فَوْقَ أَضْلُعِهِ
إِلى "الشَّرْقِ الجَديدِ"؟
يُها الَّذي نَفَضَ الظَّلامَ عَنِ ٱنْتِظاري
ما زالَ صَوْتُكَ في ضَميرِ الشَّرْقِ زَوْبَعةً
تُقَوِّضُ ما تَرامى مِنْ بُروجِ العارِ
وَاللَّيْلِ المَقيتْ.
ما زالَ صَوْتُكَ في قَراري
سورًا بِوَجْهِ الصَّمْتِ وَالزَّمَنِ المميتْ:
صَدِئَ الرَّدى...
صَدِئَ الزَّمانُ عَلى المدى...

صَدِئَ النِّضالُ عَلى آنْكِساري...

يا صَبْرُ، مُدَّ إِلَيَّ وَجْهَكَ:
لَيْسَ في "صَنّينَ" ما يُؤْوي الرِّياحَ،
وَلَيْسَ في قَلْبي سِوى غَضَبٍ حَرامْ:
الأَرْضُ سَوَّرَها الظَّلامْ
وَالفَجْرُ يَخْفُقُ
في انْتِظارٍ... في انْتِظارِ...
عَرَبٌ... عَرَبْ...
عَرَبٌ تُزَنِّرُها العُروشُ
وَيَشْتَريها الغَرْبُ مِنْ جيلٍ إِلى جيلٍ
وَيَمْلَأُها الصَّخَبْ.
عَرَبٌ تَناسَتْ صَوْلَةَ الطَّوَفانِ
وَالسَّيْفَ المزَغْرِدَ في فُتوحِ اللهِ،
وَالقاماتِ يَحْمِلُها إِلى الدُّنْيا اللَهَبْ...
عَرَبٌ... عَرَبْ...

ما زالَ في وَحْشِ الضَّميرِ يَمُرُّ مَأْتَمُكَ المهيبُ.
أَمُتَّ؟ لَكِنَّ البَراري
أَيْقَظْنَ وَجْهَكَ في جُذورِ السِّنْدِيانِ،
وَهَبَّ في أَلَقِ الجَنوبِ
سَواعِدًا تَنْمو لِتَحْتَضِنَ الثَّرى
وَتُعيدُ لِلتّاريخِ جَبْهَتَهُ،
وتَبْرُقُ كَالشِّرارِ
في شَمْخَةِ الأَرْضِ الَّتي ارْتَفَعَتْ
وَكَلَّلَها اللَهَبْ،
تَنْداحُ مِن قانا إِلى قانا،
وَيَحْمِلُها الغَضَبْ...

- ٥ -

لُبْنانُ قَلْبُكَ، يا خَليلُ،
وَصَوْتُكَ الدُّنْيا،
وَعَيْناكَ العَرَبْ،

وَيَداكَ تَنْغَرِسانِ في عُمْقِ الثَّرى
أُنْشودَةَ القَمْحِ الَّذي غَمَرَ المنازِلَ وَالحُقولَ،
وَذَهَّبَ الفَجْرَ المصَفّى فَوْقَ "صَنّينَ".
أَلْتِهابًا كُنْتَ
يَبْزُغُ مِنْ دَياجيرِ الدَّمارِ
لِيُكَلِّلَ الأَجْيالَ بِالرَّفْضِ الهَتونِ.
يُها المصَفِّقُ مِنْ عُلاكَ لِثَلْجِ "صَنّينٍ"
وَريحِ الجَرْدِ في لَهَبِ المدارِ
لُبْنانُ وَجْهُكَ في نَشيدِ البَرْقِ
يَفْتَحُ لِلْعُروبَةِ صَفْحَةً مَنْسِيَّةً
وَيَلُمُّ ما انْسَحَقَتْ بَقِيَّتُهُ مِنَ الإِعْصارِ،
يَزْرَعُهُ انْفِجارًا في القَرارِ...
لُبْنانُ قَلْبُكَ، يا خَليلُ،
وَصَوْتُكَ الدُّنْيا،
يُزَلْزِلُ لَعْنَةَ التَّلْمودِ،
يَفْتَحُ لِلْعُروبَةِ دَرْبَها.

لُبْنانُ قَلْبُكَ.

مِنْ هُنا تَتَوالَدُ الحِقَبُ.

يَلْتَمُّ طَعْمُ ضَميرِنا النّامي عَلى سَيْفٍ

تَناسى شَكْلَهُ العَرَبُ...

عَرَبٌ... وَتاهوا في تَوازُنِهِمْ

كَأَنّا وَحْدَنا مَنْ يَحْمِلُ العارَ الَّذي وَهَبوا،

وَكَأَنَّما الرَّحْمَنُ لَمْ يَدْعُ النُّفوسَ إلى جِنانٍ

عَبْرَ أَشْفارِ السُّيوفِ

يَحُثُّها الغَضَبُ!

عَرَبٌ يُفَتِّتُهُمْ عَويلُ الصَّمْتِ

مِنْ جيلٍ إلى جيلٍ،

وَيُطْرِبُهُم صَدى التَّرْدادِ... حَتّى النَّوْمِ...

ناموا في دُجى الدُّنْيا،

فَلا حِسٌّ... وَلا عَصَبُ...

عَرَبٌ تَرامَوا سَيْفُهُم خَشَبُ.

عَرَبٌ يُحاصِرُ تيهَهمْ عَرَبُ...

هَلْ مُتَّ؟ لا... ما زالَ صَوْتُكَ
عَبْرَ لَيْلِ الصَّمْتِ زَوْبَعَةً تُشيرُ بِكَفِّها:
"أَنا مِنْ هُناكَ"...
يُها المصَفِّقُ مِنْ عُلاكَ لِريحِ "صَنّينٍ"
وَصَخْرِ "شُوَيرِها"،
هَلْ مُتَّ؟ لَكِنَّ البَراري
أَيْقَظْنَ وَجْهَكَ في صُخورِ السِّنْدِيانِ
وفي عُروقِ الأَرْزِ
جَمْرًا لاهِبًا بَيْنَ الجِمارِ.
مِنْ أَجْلِ غُرْبَتِنا ٱنْتَشِرْ.
مِنْ أَجْلِ غُرْبَتِنا ٱنْتَصِرْ...
هَلْ مُتَّ؟ لا... ما زالَ عَصْفُكَ
يَفْتَحُ الدُّنْيا على الدُّنْيا
وَيَحْتَرِفُ الصَّخَبْ
ما زِلْتَ في عَرَقِ السَّواعِدِ طَفْرَةً
تَنْمو لِتَحْتَضِنَ الثَّرى

وَتُعيدَ لِلتّاريخِ جَبْهَتَهُ،
وَتَبْرُقُ كالشرارِ
في شَمْخَةِ الأَرْضِ الَّتي ٱرْتَفَعَتْ
وَكَلَّلَها اللَهَبْ،
تَنْداحُ مِنْ قانا إِلى لُبْنانَ
زَوْبَعةً عَلى عُرْسِ الغَضَبْ...

برج العار

(أو قصيدة إسرائيل)

"ما لِثِقْلِ العارِ؟
هَلْ حُمِّلْتُهُ وَحْدي
وَهَلْ وَحْدي، تُرى، كَفَّنْتُ وَجْهي بِالرّمادْ؟"
(خليل حاوي – الرعد الجريح)

– ١ –

أَلَلَيْلُ يَرْكُمُ في عُيونِ العَصْرِ
أَسْوارَ الدُّجُنَّةِ وَالضَّحايا،
وَالصَّمْتُ يَبْرُكَ في المدى
صَلِفًا عَلى وَقْعِ المنايا –

وَجَعٌ تَمُرُّ رِياحُهُ هَدّارَةً هَوْجاءَ فَوْقَ الأَرْضِ،
وَالرُّعْبُ المدَوّي يَصْدَعُ الطُّرُقاتِ في "قُدْسِ" الدِّماءِ/
دَمٌ، وَوَجْهُ الأَرْضِ تَمْسَحُهُ طَواغيتٌ تُوَقِّعُ مِشْيَةَ المَوْتى
إِلى المَوْتى وَقُبْلَتُها انْفِجارُ العُنْفِ/

ما صَبْرٌ يُطيلُ العارَ في عَيْنِ الضَّحايا؟
وَيُحوِّلُ التّاريخَ مِمْسَحَةً
عَلى أَرْضٍ تُدَنِّسُها البَغايا،
وَتَظَلُّ تَجْلُدُها مَغولٌ مِنْ شَتاتِ الأَرْضِ/
بُرْجٌ قامَ فَوْقَ الموْتِ
وَالذُّلِّ المزَوْبعِ في الدُّروبْ
وَمَضى إِلى الدُّنْيا
يَشُجُّ جَبينَ خالِقِهِ وَيُنْكِرُهُ،
وَيَرْفَعُهُ افْتِراءً فَوْقَ صَفْحاتٍ تَذوبْ
بُرْجٌ تَسامى مِنْ عِظامِ النّاسِ
تَرْقَعُهُ الجَماجِمُ وَالخُطوبْ
لِيَرُدَّ أَشْلاءَ الضَّحايا مُحْرَقاتٍ
دَنَّسَتْ في هَوْلِها أَلَقَ النُّبُوَّةِ
وَٱسْمَ خالِقِها،
وَرَدَّتْ صَحْوَةَ التَّلْمودِ مِزْبَلَةً
وَغيلانًا تَجوبْ...

بُرْجٌ تَسامى كَيْ يَشُجَّ اللهَ
بِاْسْمِ عَراقَةِ "الميثاقِ"
في أَرْضِ النُّبُوَّةِ وَالطُّيوبْ.
بُرْجٌ مِنَ المَوْتِ الدَّؤوبْ
مَدّوا بِقَرْنَيْهِ إِلى صَدْرِ السَّماءِ تَحَدِّيًا
وَتَذَلَّلوا فيهِ لِبَعْلٍ بِاسْمِ تَلْمودٍ تُرَقِّعُهُ الضَّحايا
سَمَّوْهُ "إِسْرائيلَ"
في خُبْثِ الطَّوِيَّةِ وَالحَكايا،
وَكَأَنَّما موسى وعيسى وَالرَّسولُ
صُلِبوا عَلى مَوْتٍ يَطولُ،
وَكَأَنَّما الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا
نِثارٌ بائِدٌ،
وَكَأَنَّ وَجْهَ اللهِ صَحْراءٌ
وَصَمْتٌ،
وَأُفولُ...

- ٢ -

وَجَعٌ يَعَضُّ الأَرْضَ
وَالتّاريخُ أَوْراقُ يُبَعْثِرُها الهَواءُ عَلى الكَفَنْ،
وَاللَيْلُ يَسْحَبُهُ عَلى الدُّنْيا رَمادُ البَرْدِ
وَالصَّبْرُ المكَدَّسُ فَوْقَ أَطْباقِ العَفَنْ...
ما لِلسُّيوفِ تَكَسَّرَتْ
في فَوْرَةِ العارِ المقيمْ؟
وَتَراجَعَ الفُرْسانُ في اللَيْلِ البَهيمْ؟
وَجْهٌ يُطِلُّ عَلى جِراحِ "القُدْسِ"
وَالصَّمْتِ المزَوْبِعِ فَوْقَ أَشْلاءِ الضَّحايا.
ما لِلسُّيوفِ تَكَسَّرَتْ
في حَمْأَةِ البُرْجِ المَشِيدِ؟
وَعَويلُ أَفْواجِ السَّبايا
في كُلِّ دَرْبٍ مِنْ دُروبِ اللَيْلِ،
في أَلَقِ المنايا
يُهْوي عَلى البُرْجِ المصَفَّحِ

بِالرَّصاصِ وَبِالحديدِ...؟

وَجَعٌ يُحاصِرُنا. وَبَيْنَ مَرارةِ الزَّفَراتِ
وَالمَوْتى رَذاذٌ مِنْ مُراءاةِ الشُّعوبِ وَبَعْضُ
آهاتٍ بَخيلاتٍ تَمُنُّ بِها ظِلالُ الغَرْبِ، لَكِنَّ
الصَّدى يَبْقى خَجولًا بَيْنَ عَصْرٍ زَلْزَلَتْهُ صَفاقَةُ
الظُّلْمِ السَّميكِ وَلَعْنَةُ التَّلْمودِ/
رُعْبٌ، ثُمَّ أَشْباحٌ تَمُرُّ هَزيلَةً فَوْقَ الدَّمارِ،
وَدَمٌ يُطارِدُنا كَأَنَّ الأَرْضَ صارَتْ مِنْ دَمٍ،
وَالسَّيْفَ جَلَّلَهُ رَمادُ الصَّمْتِ
في صَمْتِ ٱنْكِسارِ...
رُعْبٌ... وَخَيْلُ "الفَتْحِ"
حَمْحَمَ دونَها طَبْعُ البَوارِ
لا أُفْقَ حَوْلَ البُرْجِ،
لا نَصْلٌ تُسَلُّ
ولا جِنانَ يَقودُ نَحْوَ نُهورِها

أَلَقُ الشِّفارِ:
دُنْيا مِنَ العَرَبِ النِّيامِ
يَسوقُهُمْ عارٌ إِلى أَفْياءِ عارِ...!

- ٣ -

وَجْهي رَمادٌ
يَرْتَمي فَوْقَ الرَّمادْ.
وَجْهي مَدًى
فُرْسانُهُ رَضَخَتْ لِعارِ قُعودِها،
أَشْفارُها ظِلٌّ
يَموتُ عَلى المدادْ...
وَجْهي سَديمٌ مِنْ فَراغِ العَصْرِ
حاصَرَ يَأْسُهُ مَوْتَ الجِهادْ —
يَتَمَلَّقُ الدُّنْيا مُلوكٌ
فَوْقَ أَعْراشٍ هَباءٍ.
كُلُّ هَذا الكَوْنِ يَغْرَقُ في أَثيرٍ

مِنْ رِياحِ الرُّعْبِ،
لَكِنَّ السَّغَبْ
يَنْشَقُّ عَنْ شَلّالِ فُرْسانٍ
يُكَلِّلُها الغَضَبْ
وَجِباهُها تَزْهو بِتاريخٍ عَريقٍ
رَدَّ أَرْصِفَةَ الدَّمارِ حَدائقًا
وَمَدًى تَطاوَلَ فَوْقَ جَبْهَتِهِ اللَهَبْ...
سَغَبٌ سَغَبْ...
فُرْسانُهُ جَمَعَتْ ضَحايا القَهْرِ
في تاريخِنا المصْدوعِ
وَانْفَجَرَتْ،
وَكَلَّلَ لَحْمُها المزْروعَ في الطُّرُقاتِ
مَلْحَمَةَ الكَرامَةِ وَالغَضَبْ،
فُرْسانُهُ بِدِمائِها
مَحَتِ المَذَلَّةَ عَنْ عُروشِ العارِ
وَانْبَلَجَتْ تُعيدَ إِلى الجِباهِ شُموخَها،

وَتُعيدُ بِالدَّمِ وَالشَّهادَةِ
صَوْغَ تاريخِ العرَبْ...

- ٤ -

أَلْبُرجُ يَنمو،
وَالَرارةُ حَوْلَهُ
أُفُقٌ يُصَفِّحُهُ الصَّدى،
يَمْتَدُّ نَحْوَ الأَرْضِ قاطِبَةً،
وَيَحْتَرِفُ الرِّياءَ عَلى المدى
وَالكُفْرَ وَالحِقْدَ المدَوِّيَ أَبْجَدِيَّهْ...
وَطَنٌ مِنَ الطُّغْيانِ
حَصَّنَهُ الرَّدى
وَتَقَنَّعَتْ كُهّانُهُ بِأَسى الشُّعوبِ،
وَصَيَّرَتْ جَبَروتَها فيهمْ قَضِيَّهْ.
بُرْجٌ مِنَ العارِ المُزَوبعِ
صاغَ مِنْ تَلْمودِهِ وَجَعًا

وَمِن وَجَعِ الشُّعوبِ كِتابَهُ المُخْزي،
وَمَطَّ يَدَيهِ نَحْوَ الرَّبِّ
يَجْعَلُ مِنْ سَبايا الأَرْضِ أَرْبابًا،
وَمِنْ بَذْوِ الشَّتاتْ
نُصُبًا تُعَلِّيهِ الطُّغاةُ عَلى طُغاةْ...
بُرْجٌ يَمُدُّ عُروقَهُ عَبْرَ المدى
سَجَدَتْ لَهُ دُنْيا مِنَ القَوْمِ السَّبايا،
وَتَدَافَعَتْ عَرَبٌ
لِتَسْجُدَ في المسايا –
عَرَبٌ خَصاها العارُ مِنْ أَلْفٍ،
وَأَنْسَتْها العُروشُ تَفَجُّرَ البُرْكانِ،
وَالرَّعْدَ المدَوّيَ، وَالمنايا.
عَرَبٌ تَمُرُّ بِلا جِباهْ،
لا الموْتُ يَنْفَعُها،
ولا ذُلُّ الرُّكوعِ،
ولا الصَّلاهْ...!

– ٥ –

أَمْشي إِلى الدُّنْيا
وَفي عَيْنَيَّ أَضْرِحَةُ الَّذينَ تَقاسَموا أَجْسادَهُمْ
لِيُضيءَ تاريخُ العَرَبْ.
أَمْشي إِلى الدُّنْيا
وَفي قَلْبي حُقولٌ مِنْ غَضَبْ.
أَمْشي...
خُطايَ عَلامةُ الآتي وَأَجْنِحَةُ الَّذي
سَيَكونُ حَتّى لَوْ تَرامى البُرْجُ في كُلِّ الجِهاتِ
أَوِ ٱحْتَمى بِقِناعِهِ/ أَمْشي...
خُطايَ أَريكَةٌ
لِمَنِ ٱسْتَفاقَتْ في دِمائِهِمْ
غَياهِبُ أَرْضِنا الصَّمّاءِ
أَوْ رَدَّتْ ضَميرَ اللهِ
مِفْتاحَ الثُّرَيّا/

أَحْتَمي بِخُطايَ
مِنْ عارِ القُعودِ
وَمِنْ غَياهِبِ بُرْجِهِ المَلْعونِ/
كُلُّ عُروبَةٍ تَزْهو وَتُزْهِرُ في قَراري،
وَأَنا الخُطى...
فَتَّشْتُ عَنْ دَرْبٍ أَعودُ بِها لِقَوْمي
عَبْرَ صَحْراءِ الدَّمارِ.
فَتَّشْتُ عَنْ غَضَبٍ
أُمَحّي فيهِ عاري،
لَكِنَّما عَضَّتْ عُيوني بومَةُ اليَأْسِ المُجَلْجِلِ/
لا طَريقَ
وَلا عَرَبْ...
لا سَيْفَ يَعْجُنُهُ اللَهيبُ،
وَلا عَصَبْ.
لا شَيْءَ إِلّا أُمَّةٌ
نَسِيَتْ وَقارَ الخُلْدِ في تاريخِها

وَتَجَمَّعَتْ خِرَبًا
تَرامَتْ في خِرَبْ،
وَكَأَنَّما الدُّنْيا وَما عَرَفَتْهُ يَوْمًا مِنْ سَنًا
ما كانَ مِنْ صُنْعِ العَرَبْ...!

أَمْشي إِلى الدُّنْيا
وَبَيْنَ يَديَّ مِفْتاحُ الغَضَبْ
وَأَذوبُ في خَطَواتِ فُرْسانٍ
تَخُطُّ بِلَحْمِها وَدِمائِها التّاريخَ
مَلْحَمَةً،
حُروفًا مِنْ لهَبْ،
وَتَشُجُّ وَجْهَ البُرْجِ،
تَكْسِرُ زَهْوَهُ،
وَتَحُطُّ ما عَلّاهُ مِنْ صَلَفٍ
وَما أَرْساهُ في كُلِّ الجِهاتْ
لِيَشُدَّ نَحْوَ ضِباعِهِ

أُمَمَ الشَّتاتْ...
أَمْشي إِلى الدُّنْيا
عَلى خَطَواتِ فُرْسانِ الغَضَبْ
وَنَرُدُّ لِلتّاريخِ جَبْهَتَهُ،
وَنَبْقى قَبْضَةً مَشْدودَةً عَبْرَ الحِقَبْ.
نَمْشي إِلى التّاريخِ في زَهْوٍ
وَنَكْتُبُ سِفْرَنا بِدَمِ الشَّهادَةِ
فَوْقَ أَجْنِحَةِ اللَهَبْ...!

(نيسان – ٢٠٠٢)

الكهف
(أو نشيد الظّلام)

- ١ -

صَبْرٌ تَقَدَّدَ في المدى،
وَالسَّقْفُ وَالجُدْرانُ آهاتٌ
يُحَجِّرُها الظَّلامُ –
رَسَمَ العَويلُ عَلى الصَّدى
دَمَعاتِهِ،
وَتَشَظَّتِ الدُّنْيا الحُطامُ...

مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ وَجْهُنا نَحْوَ الأُفُقْ؟/
سَقَطَتْ مَلامِحُنا عَلى لَيْلٍ طَويلٍ – كُلُّ وَجْهٍ
غائبِ القَسَماتِ وَجْهي – كُلُّ ثَغْرٍ تاهَ في بَحْرِ
السُّكونِ فَمي/ وَلَكِنْ
غارَتِ القَدَمانِ في رَمْلِ الطُّرُقْ

وَتعثَّرَ الوَجْهُ المضَعْضَعُ
في أَضاليلِ النُّطُقْ...
سَقَطَ الصَّدى فَوْقَ الصَّدى
وَتَكَدَّسَ الزَّمَنُ المحَجَّرُ
في حَنايا القَلْبِ/
لَيْلٌ مِنْ رَمادٍ بارِدٍ
وَمَدًى مِنَ الدَّيْجورِ
يَصْدَعُهُ رُكامُ —
ما قِمَّةُ البَرْدِ الَّتي دَكَّتْ
صُروحَ الشَّمْسِ
وَالْتَهَبَتْ لِسانًا بارِدًا
رَقَصَتْ حَوالَيْهِ الطَّغامُ؟
كُومٌ عَلى كُومٍ مِنَ الحَسَراتِ
وَالدُّنْيا نَشيدٌ مُظْلِمٌ
عَلّى صَداهُ في المدى كَهْفٌ
وَأَرْدَتْها سِهامُ...

- ٢ -

قَهْرٌ عَلى قَهْرٍ
وَأَحْلامٌ يُضَيِّعُها الظَّلامُ...
قَهْرٌ عَلى قَهْرٍ
وَعَرْشٌ مِنْ دُموعِ النّاسِ
تَرْفَعُهُ عِظامُ!
أَلْكَهْفُ يَفْغُرُ فاهُ في الآفاقِ
وَالدَّيْجورُ يَجْلُدُ ما تَأَجَّجَ
في جُلودِ النّاسِ
مِنْ جوعٍ وَجوعْ...
كَهْفٌ يَمُدُّ صَفاقَةَ الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا
وَيُغْرِقُها عَلى لُجَجِ الدُّموعْ...
وَتُجَنُّ أَحْصِنَةُ الطُّغاةِ
عَلى مَدًى مَسْقوفَةٍ أَحْلامُهُ بِالقَهْرِ
وَالهَلَعِ الطَّويلْ
حَتّى تَقَوَّضَ ما تَلَأْلَأَ مِنْ بَصيصِ النّورِ

فِي اللَيْلِ الثَّقيلْ...
وَكَأَنَّ عَرْبدَةَ الدُّجى
قَدَرٌ يَمُدُّ لِسانَهُ مَسْخًا
وَيَرْفَعُهُ قَتامُ؛
وَكَأَنَّما وَجْهُ المدى
رُعُبٌ
وَأَضْرِحَةٌ حُطامُ...

- ٣ -

كُلَّما أَوْغَلَ اللَيْلُ في ظُلْمَةِ القَلْبِ
عادَ النَّشيدُ يُضَمِّخُهُ الهَوْلُ/ عُدْتُ

إِلى حَيْثُ أَرْخى المدى حَسْرةً كَنِثارِ الدَّمِ المتَخَثِّرِ بَيْنَ بُيوتِ المتاهَةِ (وَاللَيْلُ أَعْيُنُهُ شاخِصاتٌ، وَقَلْبي حَطَبْ.)

عُدْتُ مِنْ شاهِقِ الموْتِ جيلًا تَهاوى وَجَمَّعَ أَشْلاءَهُ خِرْقَةً في المدارِ الَّذي امْتَصَّهُ الكَهْفُ،

أَسْتَنْزِفُ الصَّمْتَ قَطْرَةَ ماءٍ – دَمًا لَمْ يُخَثِّرْهُ رُعْبُ المدى/

عُدْتُ في القَلْبِ أَلْفٌ مِنَ المِطرَقاتِ

وَصَبْرٌ قَديدٌ تَحَجَّرَ فيهِ اللَهَبْ...

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَ الَّذينَ اسْتَفاقوا عَلى مَوْتِهِمْ لَحْظَةً لَحْظَةً غَيْرُ هَسْهَسَةٍ وَعَجَبْ.

لَيْسَ بَيْني وَبَيْني سِوى زُمَرٍ تَسْلُخُ الجِلْدَ عَنْ لَحْمِهِ وَتُجيعُ الَّذينَ نَمَتْهُم مَراراتُهُمْ عِنْدَما رفَعوا بِدِماهُمْ عُروشًا تَسامَتْ عَلى لُجَجِ الكَهْفِ وَاسْتَنزَفوا جوعَهُمْ:

وَجْهُهُمْ

شاحِبٌ

مِثْلُ

هَسْهَسَةِ

ٱلجوعِ

لَكِنَّ أَعْمِدَةَ العَرْشِ تَرْمي لَهُمْ نُتَفَ القُوتِ كَيْ لا يَموتوا، فَتَلْعَقُ أَلْسِنَةُ الجائِعينَ حِذاءَ الطُّغاةِ، وَيَنْسَوْنَ لَوْنَ البَساتينِ خارِجَ كَهْفِ السَّغَبْ/

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَ الطُّغاةِ
سِوى الصَّمْتِ
وَالوَجَعِ المُتَرامي كَحَقْلِ قَصَبْ.
لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَ الطُّغاةِ
سِوى غَضَبٍ عَضَّهُ الشَّعْبُ قُوتًا،
وَشَعْبٍ
سَيَسْلُكُ يَوْمًا طَريقَ الغَضَبْ.

كُلَّما أَوْغَلَ اللَيْلُ في ظُلْمَةِ القَلْبِ ساءَلَني القَلْبُ عَنْ عَرَقٍ يَتَنَزَّهُ فَوْقَ الجِباهِ وَيَحْصُدُ لُقْمَتَهُ مِنْ حُقولِ الكَرامَةِ/ لَيْسَ هُنا في حُطامِ النَّزاهَةِ وَالعَبَثِ المُسْتَمِرِّ سِوى سَغَبٍ يُحْرِقُ الأَرْضَ بِالبَرْدِ/ لَيْسَ الصَّدى

غَيْرُ رَجْعِ الَّذينَ إذا سُئِلوا نَشَروا صَمْتَهُمْ
وَاسْتَراحوا إلى الموْتِ/ وَجْهي
عَبيرُ التُّرابِ وَحُلْمُ المدى...
مُتْعَبٌ... مُتْعَبٌ...
لَيْسَ خَلْفي سِوى الظِّلِّ مُسْتَلْقِيًا
في هُبوبِ الهَباءْ/
كَيْفَ تَنْطَرِحُ الأَرْضُ مَكْدودَةً
وَالسَّواقي تَجِفُّ
وَيَنْتَحِرُ الضَّوْءُ في مُسْتَجارِ النِّداءْ!
كَيْفَ يَمْتَدُّ في الأَلَقِ الكَهْفُ
رُغْمَ بُكاءِ الجِياعِ وَجَوْرِ التَّعَبْ! —
وَوَجْهي تَوَهُّجُ رَفْضِ الجِياعِ
وَجَلْجَلَةُ الرَّفْضِ تَصْدَعُ عُمْقَ الفَضاءْ...
وَوَجْهي هَديرٌ
وَنارٌ تَأَجَّجُ
إنْ سَلَكَ الشَّعْبُ يَوْمًا طَريقَ الغَضَبْ...

- ٤ -

أَلصَّبرُ ذِئْبٌ

يَعْلُكُ اللَحْمَ المقَدَّدَ

فَوْقَ عَظْمِ الجائِعينْ/

هَذا هُوَ الزَّمَنُ المرائي

وَاللَيْلُ حينَ يَصيرُ سِجْنًا أَوْ كَمينْ.

هَذا نَشيدي في دِمائي:

غَضَبٌ

وَأَحْلامٌ يُفَجِّرُ لَوْنَها عَزْمُ الغَضَبْ...

بَيْني وَبَيْنَ النّاسِ كَهْفٌ

وَاحْتِراقاتُ الحَقيقَةِ في الصَّباحِ وَفي المساءِ،

وَأَشِعَّةٌ مَكْسورَةٌ مِنْ حِكْمَةِ الأَشْواقِ

مَزَّقَها التَّعَبْ.

غَضَبٌ تَجَمَّعَ في حِجارِ الأَرْضِ/

هَلْ صَوْتٌ تُفَجِّرُهُ الضَّراوَةُ أَوْ لَهَبْ؟

هَلْ أُمَّةٌ تَشْتَدُّ في دَحْرِ المعابدِ وَالتَّكايا؟

صَبْرٌ وَأَحْلامٌ سَبايا.
صَبْرٌ وَمِطْرَقَةٌ يُرَصِّعُ طَرْقَها وَجْهِي
وَوَجْهُ الخارِجينَ مِنَ الدِّماءِ.
جَسَدي قَرابينُ العُبورِ مِنَ الظَّلامِ إِلى الضِّياءِ
وَدَمي المراقُ ذَبيحَةُ الأَجْيالِ لِلأَجْيالِ
تَخْرُجُ مِنْ دُجُنَّتِها
وَتَحْتَلُّ المدى وَحُقولُها لَهَبُ –
وَدَمي نَشيدُ الجائِعينَ،
دَمي رِياحُ الأَرْضِ، وَالأَشْواقُ،
وَالوَجَعُ المفَدّى،
وَاحْتِراقاتُ المَواتِ عَلى زَمانٍ باتَ يَلْتَهِبُ،
وَدَمي انْبِلاجُ الموْجِ في صَخَبِ القَضاءِ
يَمْتاحُ أَحْلامَ الَّذينَ تَفَتَّتوا في القَهْرِ
تَحْتَ نِعالِ مَنْ سَكنوا العُروشَ
وَرَقّعوا بِجُلودِنا أَيّامَهُمْ وَعُروشَهُمْ
وَتنَسَّكوا في العُهْرِ حينَ اشْتَدَّ كاهِلُهُمْ/

يُها الزَّمَنُ الَّذي كَسَروهُ، قُمْ
وَاخْرُجْ إِلى التّاريخِ مِطْرَقةً
وَهاكَ نَشيدَنا/ دَمُنا النَّشيدُ
في كُلِّ فَجْرٍ بَعْدُ، في الأَسْحارِ
حينَ يُظِلُّنا فَجْرٌ جَديدُ.
عُرْسي دَمي،
وَدَمي النَّشيدُ يُطِلُّ في الآياتِ وَالأَجْراسِ
مُرْتَفِعًا
لِيُشْرِقَ في السَّماءْ:
حَقْلٌ مِنَ الغَضَبِ الوَليدِ
وَأُمّةٌ خَرَجَتْ مِنَ الكَهْفِ المديدِ/
دَمي الحُروفُ اللاهِباتُ،
دَمي القَصائِدُ وَالزُّهورُ
وَبَسْمَةُ التّاريخِ لِلتّاريخِ
في جَرْدٍ يُكَلِّلُه الضِّياءْ
وَدَمي القَضاءُ

دَمي القَضاءُ

دَمي القَضاءْ...!

جسر النار
(أو: قصيدةُ رفيق الحريري)

– ١ –

يَنْزِلُ اللَيْلُ مِنْ وَجَعِ الصَّمْتِ
نَحْوَ المدى
وَيُحَصِّنُ أَبْراجَهُ في أَسى القَلْبِ.
ثَمَّ سُكونٌ
وَإِعْصارُ صَمْتٍ يَلُفُّ الرَّدى/
كانَ وَجْهي
يَجِفُّ عَلى الصَّبْرِ.
كُنْتُ الصَّدى
في دَهاليزِ ما كَدَّسَتْه المرارَةُ عَبْرَ السِّنينَ/
يَدايَ تَمُرَّانِ فَوْقَ الجِراحِ
وَلِكِنَّ بَرْدَ الدِّماءِ يُضَرِّجُ وَجْهَ الزَّمانِ

وَلا نارَ،
لا دِفْءَ فَوْقَ المسافاتِ
لا شَيْءَ غَيْرَ شَظايا النُّجومِ
يُفَكِّكُها المَحْلُ –
لا شَيْءَ إلّا الصَّدى
وَسُكونًا تَحَجَّرَ فَوْقَ يَباسِ انْتِظاراتِنا
مُوغِلًا في حُطامِ السِّنينْ/
وَجَعٌ يَتَناسَلُ في المحْلِ،
وَالشَّعْبُ يَعْلُكُ صَمْتًا بَدا
وارِفًا
تَحْتَ مِطْحَنَةٍ لِلْأَنينْ.

***

يَنْزِلُ اللَيْلُ مِنْ وَجَعِ الصَّمْتِ
نَحْوَ المدى –
أَلنُّجومُ عُيونٌ تَبُصُّ

مِنَ الجَلَدِ المتَفَسِّخِ كَالجِلْدِ
أَوْ
مِنْ أَنينِ التَّعَبْ،
وَالضَّبابُ الَّذي لَفَّ أَوْرِدَةَ الزَّمَنِ المتَقَوِّسِ أَرْضٌ
تُبَرْعِمُ فيها المراراتُ
مِثْلَ النُّجومِ الَّتي فَقَدَتْ لَوْنَها
وَاسْتَفاقَتْ عَلى غَسَقٍ مِنْ حَطَبْ –
لِلَّذينَ تُشَرَّدُ أَصْواتُهم حَيْثُ لا شِعْرَ
أَوْ
لا ضَمائِرَ تُفْلِتُ مِنْ هَبَّةِ الحُلْمِ/
وَالحُلْمُ يَحْمِلُ غاباتِ أَعْيُنِهِمْ في الهَواءْ
وَيَجرُّ إِلَيْها اخْضِراراتِهِمْ
ثُمَّ يَمْسَحُها بِرَمادِ الهَباءْ/
أَيُّها الخَوْفُ
لا تَتَظَلَّلُ أَجْسادُنا زَمَنًا فاسِدًا
أَوْ دَمًا فاسِدًا

أَوْ خِواءً يُخاطِبُ شَعْبَ الخِواءْ
أَيُّها الخَوْفُ
كَمْ خِطْتَ أَفْواهَنا بِالصَّدى
وَانْكَسَرْنا عَلَيْكَ،
كَسَرْنا لَكَ العُمْرَ
في جَبَروتِ الرِّياءْ!

أَيُّها الخَوْفُ
كَمْ هَذَتِ الرّيحُ في ثَوْبِكَ المتَطاوِلِ
حَتّى حُدودِ الفَناءْ...!

***

يَسْكُنُ اللَيْلُ
بَيْنَ حَنايا الَّذينَ يُريدونَ أَنْ يَصْنَعوا الأَرْضَ
مِنْ لَهَبٍ
وَيَمُدُّ سُرادِقَهُ في ظَلامِ الأَبَدْ:

خِنجَرًا في الجَسَدْ.

يَسْكُنُ اللَيْلُ في كُلِّ صَوْبٍ
وَيَنْظِمُ أَشْباحَهُ لِلسَّرابْ/
لا أَحَدْ.
لا رِجالَ سِوى جُثَثٍ
مُدِّدَتْ في العُروشِ
لِيَبْقى الخَرابُ لَنا رايَةً
وَنَصْدَأَ في مَلَكوتِ الخَرابْ.

هَلْ أَقولُ لِأَطْفالِنا
إِنَّ عُرْيَ الحَياةْ
دَنَّسَتْهُ مَرارَةُ عارٍ
وَأَنَّ الطَّواغيتَ تَسْتَعْمِرُ الشِّعْرَ،
تَأْسُرُ في سِجْنِها الكَلِماتْ؟

هَلْ أَقولُ لِأَطْفالِنا
إِنَّ أَحْلامَنا
حَطَبٌ وَرُفاتْ؟

هَلْ أَقولُ لِأَطْفالِنا
إِنَّنا
لا نُريدُ الحَياةْ؟

***

أَعْطِنا أَنْ نَرُدَّ الزَّمانَ
إِلى الفَلَكِ المسْتَحيلِ
وَأَنْ نَتَعَشَّقَ نَجْمَ الشُّروقْ
وَنَرْكُضَ في السِّحْرِ
أَوْ
نَتَسلَّحَ بِالشِّعْرِ وَالأُغْنِياتِ
لِنَمْسَحَ عَنّا الحُروقْ.

أَعْطِنا أَنْ نُحرِّرَ وَجْهَ الكَلامِ
وَنَرْحَلَ في مَلَكوتِ البُروقْ،
وَاكْسِرِ الخَوْفَ عَنْ طَفْرَةِ الكَلِماتِ/
يُها الموْتُ
كُنْ حُلُمًا في مَدى الكيمِياءْ
وَابْتَكِرْ لُغَةً تَمْسَحُ الموْتَ عَنّا
لِيَغْدُوَ صَوْتي طَريقًا،
وَيَغْدوَ عَزْمي حُروفَ هِجاءْ.

أَيُّها الموْتُ
كُنْ لِي صَديقًا
لِنَرْسُمَ بِالحُبِّ وَجْهَ السَّماءْ.

أَنامُ عَلى الحُلْمِ،
أَحْضُنُهُ،
وَأُقبِّلُ وَجْهَ الهَواءْ،

وَأَخْرُجُ مِنْ جُثَّتِي واحِدًا
أَقولُ لِأَطْفالِنا
ما أَشاءْ...

– ٢ –

خارِجٌ مِنْ قَميصِ الدُّجى
مِثْلَما يَخْرُجُ الصَّبْرُ مِنْ جِلْدِهِ
أَرْتَدي أُقْحُوانَ الحُقولِ
وَضَوْءَ شَوارِعِ بَيْروتَ،
أَوْ أَرْتَدي
صَبْرَ مَنْ لَفَّتِ الأَرْضُ أَعْيُنَهمْ
بِالضَّبابِ الطَّويلْ...
خارِجٌ مِنْ حُقولِ العَويلْ،
مِنْ مَغاوِرَ تَحْبُلُ بِالعارِ وَالصَّمْتِ وَالمسْتَحيلْ
زَرعوا العَرْشَ فيها
لِيَسْتَنقِعَ اللَيْلُ

فَوْقَ حُطامِ الصَّباحِ/
لِتَأسِرَ فينا الحَياةَ مُسوخٌ
يُفَكِّكُها العَرْشُ
ثُمَّ يُعيدُ تَكاوينَها
ضَحْلَةً، رَطْبَةً،
جُمِعَتْ فَوْقَ جُثَّتِها خَطَأً
لِتُلَمَّ عَلى عَرْشِها كَالرُّكامِ
وَتَزْحَفَ نَحْوَ الطَّواغيتِ تَسْنُدُها/
خارجٌ مِنْ قَميصِ الدُّجى
لِدُروبٍ تَلاعَبُ وَجْهَ الصَّباحِ...
لِبَيْروتَ تُقْفِلُ بَوّابةَ الكَهْفِ،
تَرْكَبُ غَيْمَ الرَّحيلِ
عَلى مَنْكَبِ الرّيحِ،
تَسْتَأْصِلُ الموْتَ مِنْ مَوْتِهِ
وَتَزيحُ عُروشَ الدَّمارْ.
لِسَماءٍ تُوَشِّحُ وَجْهَ النَّهارْ

تُوَشْوِشُني وَتُوَسِّدُني صُبْحَها المتَغَلغِلَ
في عُمْقِ جِلدي.
لِشَعْبٍ يُحاوِرُ أَحْلامَهُ
وَتُحاوِرُهُ/
وَدَمي يَغْسِلُ الشِّعرَ وَالأَرْضَ وَالكَلِماتِ،
يُغَنّي
لِآتٍ يَنامُ عَلى ساعِدَيْنا/ يَطيرُ بِنا
عالِيًا عالِيًا
نَرْأبُ الزَّمنَ المتَكَسِّرَ
في أَنَّةِ الفُقَراءِ/
دَمي
يَغْسِلُ الشِّعْرَ
حَتّى يَرُشَّ عَلى الضَّوْءِ أَلْحانَهُ
وَيَقودَ الخُطى نَحْوَ جِسْرِ العُبورِ/
دَمي
زَعْزَعٌ يَقْلَعُ العَرْشَ في غَضَبِ النّارِ

وَالنّارُ آتِيَةٌ مِنْ سَديمِ المرارةِ...

نَخْـرُجُ نَحْـوَ الضَّـوْءِ الآتي مِـنْ شَـبَقِ التَّغْيـيرِ/
تَكَلَّمْتُ/ تَكَسَّرْتُ كَما تَتَكسَّرُ ريحُ الدِّفْلى
وَقَرَأْتُ قَصيدةَ عُمْري وَدَمي
وَكَتَبْتُ كَلامي بِدِمائي/
لَمْ أَتَكَلَّمْ
وَتَكَلَّمْتُ كَريحٍ يَتناسَلُ فيها الغَضَبُ:
غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبُ...
غَضَبٌ يَتَقَدَّمُ في الطُّرُقاتِ
وَنارٌ
تَرْسُمُ وَجْهَ الكَوْنِ
وَتَكْتُبُ تاريخَ التَّغْيرِ
وَتَقْتَرِبُ/
غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبُ...
زَمَنُ الطُّغْيانِ تَكَسَّرَ

فِي هَرْجٍ يَرْفَعُهُ الطَّرَبُ/
غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبُ...
وَدَمي يَتَكَوَّمُ نارًا
جِسْرًا لِلتّاريخِ وَلِلشَّعْبِ المقْهورِ
دَمي جِسْرُ عُبورٍ
يُشْعلُ فِي حَطَبِ التّاريخِ طَهارَتَهُ
وَيُطَهِّرُهُ مِنْ عارِ مُسوخٍ
أَقْعَدَها الموْتُ
وَأَغْواها عَرْشٌ يَنْخُرُهُ العَطَبُ/
غَضَبٌ... غَضَبُ/
لَمْ أَتَكَلَّمْ
وَتَكَلَّمْتُ كَصاعِقَةٍ
تَفْتَتِحُ الفَجْرَ بِزَعْقَتِها البِكْرِ:
أَنا الخارِجُ مِنْ ظُلُماتِ الصَّمْتِ
أَنا لُغَةُ التَّغْييرِ
أَنا الحاضِرُ وَالآتي

وَالقَدَرُ المُنْكَتِبُ،
وَأَنا التّاريخُ يُحَرِّرُهُ
مِنْ عارِ العَرْشِ الغَضَبُ –
غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبُ...

أَلشَّعْبُ النّاهِضُ يَخْرُجُ مِنْ قَطَراتِ دَمي –
يَمْسَحُ بِالأَحْمَرِ تاريخَ العارْ
أَلشَّعْبُ النّاهِضُ
يَعْبُرُ جِسْرَ النّارْ...

قصيدة جبران التويني
(أو سمفونيّة الشهادة)

هَوَتِ الشَّهادةُ في حُروفٍ مِنْ دَمٍ
وَتَضَرَّجَتْ بِالنّارِ صارِيَةُ الصَّباحِ.
مِنْ أَيْنَ أَبْتَدِئُ الطَّريقَ
وَكُلُّ صَوْتِ الشَّعْبِ
يَنْبِضُ في جِراحي؟
***

كَانَتْ قَصيدَةُ رِحْلَتي في العُمْرِ
عاصِفَةً
يَلُفُّ هُبُوبُها وَطَني
وَيَحْمِلُهُ إِلى عَتَباتِ حُلْمي
مِثْلَ أَوْراقٍ رَقيقاتٍ
مَسَحْتُ بها حَنانَ الجُرْحِ —

كُلُّ قَصيدَةٍ وَجْهي،
وَكُلُّ مَرارةٍ في شَعْبِيَ المَقْهورِ صارِيَتي،
وَكُلُّ دَمٍ يُراقُ عَلى دِمايَ/
أَنا الصَّباحُ
أَنا الصَّباحُ!

***

ماذا إِذا انْقَضَتِ السُّنونَ
وَأَدْمَنَ الجسَدُ الفِداءَ،
وَلَمْ يَكُنْ
إِلّا الشَّهادَةُ وَحْدَها
تَرْوي عُروقَ الخِصْبِ في الأَرْضِ البَوارِ
وَتَكْسِرُ القَهْرَ المزَغْرِدَ
في دُجُنّاتِ المغولِ؟ –
أَنا الصَّباحُ
أَنا الصَّباحُ،

وَأَنا الطَّريقُ إِلى رَبيعَ الحُلْمِ
تَرْسُمُها الجِراحُ.

***

ماذا أقولُ إذا سَكَنْتُ مَرارتي
وَإِذا ارْتَمى في الجُرْحِ مِلْحٌ؟/
ما تُرى وَجَعي يَقولُ؟
لا أَمْسَ أَوْ غَدَ.
لا زَمانَ وَلا مَكانَ
سِوى هَديرِ الخَوْفِ
تَزْرَعُهُ عَلى الدَّرْبِ المغولُ.
مِنْ أَيِّ زَوْبَعةٍ أَعودُ
وَما تُرى وَجَعي يَقولُ؟
مِنْ أَيِّ جُرْحٍ أَبْدَأُ الحُلُمَ الطَّويلَ؟ –
أَنا الجِراحُ
أَنا الجِراحُ!

وَأَنا الهَديرُ أَنا الرِّياحُ...
أَلصَّمْتُ يَذْبَحُني وَيوجِعُني دَمي،
وَرَسائِلُ الضُّعَفاءِ تَصْلُبُني عَلى حُلُمي
فَأَرْحَلُ في القَصيدةِ عارِيًا
لِأَصيرَ صَوْتَ مَشيئَةِ الغُفْرانِ
أَوْ
لِأَصيرَ هاويتي
وَلِلْكَلِماتِ طَعْمُ الجُرْحِ
لِلْأَشْياءِ طَعْمُ مَرارةِ الوَطَنِ الطَّويلَةِ —
كُلَّما فَتَّشْتُ عَنْ جُرْحي
تَضَوَّعَتِ الطُّيوبُ
وَغَنَّتِ الدُّنْيا عَلى جُرْحي
كَأَنّي لَسْتُ وَحْدي/
لَسْتُ وَحْدي!
كُلَّما عَلّى الصَّدى وَجَعي
وَأَطْرَبَني الهُبوبُ

سَكَنْتُ هاويَتي
وَهاوِيَتي صُعودٌ أَوْ كِفاحُ،
وَأَنا الجِراحُ
أَنا الجِراحُ!

***

ماذا أَقولُ إِذا سَكَنْتُ قَصيدَتي
وَرَسَمْتُ بِالدَّمِ صورَةَ الأَشْياءِ؟
أَعْلَنْتُ الفِداءَ
وَقُلْتُ: تِلْكَ قَصيدَتي.
أَنا لَسْتُ مِنْ جِلْدي إِذا سَقَطَتْ يَدي.
أَنا لَسْتُ مِنْ جِلْدي إِذا عَجِزَتْ خُطايَ
عَنِ الدُّخولِ إِلى مَدارِ الحُلْمِ،
لَسْتُ أَنا إِذا سَقَطَتْ حُروفي.
سَتَفيضُ في جُرْحي الوُرودُ
وَتَسْقُطُ العَتَماتُ مِنْ حَوْلي

وَتَرْفَعُني حُتوفي –
أَنا لَسْتُ مِنْ جِلْدي إِذا سَقَطَتْ حُروفي!

***

سَأَكونُ حُلْمي:
لَوْنُهُ تَوْقُ الضِّياءِ إِلى الصَّباحِ.
سَأَكونُ حُلْمي:
وَجْهُهُ ضَوْعُ الشَّهادةِ في الكِفاحِ.
سَأَكونُ حُلْمي/
أَحْمِلُ الأَشْياءَ فَوْقَ غَمامَةٍ
وَأَطيرُ في الدُّنْيا كَرائِحَةِ الأَقاحي...
سَأَكونُ حَرْفَ الخارِجينَ إِلى الضَّياعِ
يَخُطُّ بِالَّدمِ شِعْرَهُ
وَيَطيرُ في أُفُقِ الخَواطِرِ ساحِرًا،
وَأَكونُ مَنْفايَ الَّذي مِنْهُ
أَعودُ إِلَيْكُمُ

وَيَعودُ في خَطَواتِيَ الشُّهَداءُ
وَالدَّمُ وَالشَّهادَةُ وَالخُشوعُ.
إِشْهَدْ:
سَيَنْبِضُ كُلُّ شِلْوٍ بِالحَياةِ
وَيَفْتَحُ الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا الشُّهودُ.
إِشْهَدْ:
سَتُسْحَقُ قَبْضَةُ الطُّغْيانِ في إِيمانِنا،
وَيُطِلُّ مِنْ دَمِنا الخُلودُ.
***

ما زِلْتُ أَحْلُمُ...
غَيْرَ أَنِّي صامِتٌ،
أَسْقي العَناوينَ القَتيلَةَ بِالضِّياءِ،
أَمُرُّ في شَهَقاتِكمْ
وَأُكَفكِفُ الدَّمْعَ الَّذي ذَرَفَتْهُ
آهاتُ القَصيدَةِ/

لَسْتُ مَحْوًا:
كُلُّ حَرْفٍ يَصْدَعُ الطُّغْيانَ صَوْتي.
كُلُّ سَيْفٍ قَدَّ وَجْهَ المَوْتِ صَوْتي.
لَسْتُ مَحْوًا:
لا أَزالُ مُحَلِّقًا بِعُيونِكُمْ وَحُروفِكمْ
وَأَسيرُ في خَطَواتِكمْ قَمْحًا –
أَنا الحُلُمُ الَّذي فَتَحَ الضِّياءَ عَلى الضِّياءِ،
أَنا الشَّهادَةُ وَالشَّهيدُ،
وَأَنا عَناوينُ الغَدِ المَفْتوحِ لِلدُّنْيا،
أَنا وَجَعُ المخاضِ،
أَنا الوَليدُ،
وَأَنا الَّذي هَزَمَ المَنِيَّةَ بِالحَياةِ:
أَنا الخُلودُ،
أَنا الخُلودُ!

***

مِنْ أيِّ زوبعةٍ وُلِدْتَ
وَكَيْفَ فاحَ أَريجُكَ الضَّوْئِيُّ
في كُلِّ الحُروفِ؟
وَكَيْفَ جِئْتَ؟/
دِماؤُكَ النّورُ الَّذي غَسَلَ العُيُونَ مِنَ الظَّلامِ،
وَحُلْمُكَ المَفْتوحُ في دَمِنا قَصيدَتُنا،
وَبابُ الدّاخِلينَ إِلى الضِّياءِ.
مِنْ أَيِّ زَوْبَعَةٍ وُلِدْتَ
وَفي يَدَيْكَ هَديرُ كُلِّ زَوابِعِ الدُّنْيا
وَمِطْرَقَةُ القَضاءِ؟
يا أَيُّها الصَّوْتُ الَّذي كَسَرَ الظَّلامَ
وَزَلْزَلَ الطُّغْيانَ فَوْقَ مَغولِهِ،
قَسَمٌ:
سَنُسْرِجُ حُلْمَكَ الوَرْدِيَّ في آفاقِنا
وَنَظَلُّ نَكْتُبُ نورَهُ وَدِماءَهُ بِضُلوعِنا.
قَسَمٌ:

سَنَفْتَحُ صَوْتَكَ العالي عَلى الدُّنْيا
لِيَنْكَسِرَ الظَّلامُ،
وَنَعْتَلي في حُلْمِكَ المفْتوحِ أَحْصِنَةَ القَضاءِ
نُطارِدُ التَّتَرَ الَّذينَ يُدَنِّسونَ الأَرْضَ
حَتّى في قُبورِهِمِ،
نُطَهِّرُ ما تَدَنَّسَ مِنْ خُطاهُمْ بِالدِّماءِ.

قَسَمٌ:
سَنُسْرِجُ حُلْمَكَ الوَرْدِيَّ في آفاقِنا
وَتَظَلُّ في دَمِنا نَشيدَ العابِرينَ إِلى الضِّياءِ.
يا أَيُّها الآتي إلى مَلَكوتِهِ،
أَنْتَ العَناوينُ الكَبيرةُ وَالنَّشيدُ.

قَسَمٌ:
سَيَكتبُ حُلْمُكَ التّاريخَ في دّمِنا
وَيَصْنَعُ أُمَّةً مِنْ صَوْتِهِ،
أَنْتَ الشَّهادةُ وَالشَّهيدُ!

١٦ – ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٥

النشيد البرتقالي
(أو: قصيدة العماد عون)

- ١ -

لِلْقَلْبِ مِحْبَرَةٌ
وَلِلصَّوْتِ الذَّبيحِ مَجَرَّتانِ
لا الصَّمْتُ يُخْرِسُ ما تُطَهِّرُهُ الدِّماءُ
وَلا طَواغيتُ الزَّمانِ.

صَوْتي سِياجُ الأَرْضِ
وَالأُفُقُ الَّذي آخى السَّماءَ/
يَمُرُّ في وَجَعي الخُروجُ
كَأَنَّ غَزْوَ القادِمينَ مِنَ الخَرابِ
إلى الخَرابِ
يُطارِدُ الفَجْرَ المصَفّى
في عُيونِ الشَّعْبِ/

وَجْهُ الرّيحِ يَحْمِلُني
وَصَوْتُ الرِّيحِ يَعْصِفُ في كِياني،
وَتَضِجُّ مِنْ حَوْلي بِلادٌ
كُلَّما أَحْبَبْتُها نَفَرَتْ وَماعَتْ في المكانِ...
وَإِذا أَحَبَّتْني تَضاريسُ المدى
وَتَدافعَتْ في قَلْبِيَ النّارِيِّ
أَصْواتُ الأُباةِ
يَرُدُّ بومٌ مِنْ قِفارِ الأَرْضِ
بِٱسْمِ الأَرْضِ زُلْفى
يَسْتَكينُ عَلى الدَّمارِ
وَيُقنّعُ الصَّدَأَ المزَمْجِرَ في الرَّدى
بِقِناعِهِ المَمْزوجِ مِنْ إِفْكٍ وَعارِ،
وَيَقولُ: تِلْكَ قَضِيَّتي...!
وَيَظَلُّ قَلْبُ الشَّعْبِ – قَلْبي
غارِقًا في حَمْأةِ الكَذِبِ المطَرَّزِ بِالشِّعارِ.
لَنْ يَسْتَكينَ خُروجُنا –

هِيَ لَحْظَةٌ لِوُضوحِ هَذا القَلْبِ
أَوْ لِتَكونَ ذِكْرى الفَجْرِ
شاهِدَةً عَلى قُبُلاتِنا.
هِيَ لَحْظَةٌ لِبِدايَةِ التَّغْييرِ
في وَطَنٍ تُصَدِّعُهُ مَتاهاتُ الرِّهانِ —
لا الصَّمْتُ يُخْرِسُ ما تُطَهِّرُهُ الدِّماءُ
وَلا طَواغيتُ الزَّمانِ...

– ٢ –

يا أَيُّها الزَّمَنُ البَليدُ عَلى مَرارَةِ أَرْضِنا،
سَجِّلْ:
سَتَنْكَسِرُ المَنافي عِنْدَ ريحِ حُدودِنا،
وَسَيَخْشَعُ البَحْرُ المديدُ.
سَجِّلْ:
سَتَخْطِفُنا الحَياةُ إِلى قَرارَتِها
وَيَسْقُطُ دونَها المَوْتُ العَنيدُ.

سَجِّلْ:
سَأُحَمِّلُ الفَجْرَ المسَلَّطَ فَوْقَ أَعْيُنِهِمْ
بُذورَ الشِّعْرِ وَالغَضَبَ المصَفّى
أَوْ سَأَسْكُنُ في حَناجرِ شَعْبِنا المقْهورِ،
سَجِّلْ:
سَأَبْقى في ضَميرِ النّارِ زَوْبَعَةً
تُحَرِّكُها الحُشودُ،
وَسَأَتْرُكُ الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا
صُراخًا بُرْتُقالِيًّا
يَلُفُّ بِعَصْفِهِ جُرْحَ الكَرامَةِ وَالغَضَبْ،
وَسَأُعلِنُ التَّغْييرَ شِعْرَ العَصْرِ،
أَبْتَكِرُ الحَياةَ بِما الْتَهَبْ.
وَأَظَلُّ في بَيروتَ رايَتَها
وَأُعْلِنُ لِلْمَدى: إِنّي أَعودُ —
سَأَعودُ في عَصَبِ الصَّنَوْبَرِ وَالزُّهورِ
وَفي القَصائدِ وَهْيَ تَبْتَكِرُ الزَّمانَ،

دَمي الرَّسائِلُ وَالبَريدُ،
وَأَنا الزَّوابِعُ تَغْسِلُ النَتْنَ المكَدَّسَ في العُروقِ،
أَنا الغِناءُ، أَنا النَّشيدُ...

وَجَعي عَلى وَطَنٍ يُسَمِّرُهُ الوَجَعْ.
وَجَعي سَيَمْسَحُ ما يُكدِّسُهُ الطَّمَعْ.
وَجَعي يَفورُ عَلى ضَميرِ النّاسِ
في تِشْرينَ، في أَيّارَ،
في كُلِّ امْتِداداتِ الزَّمانِ.
وَجَعي حَنينُ النّاسِ
حينَ يَحُرُّها قَمْعُ الهَوانِ.
لا شَيْءَ في هَذا المدى المْتَدِّ
عَبْرَ صَفاقَةِ الدُّنْيا
سِوى أَلَقِ اللَهَبْ.
لا شَيْءَ في أَحْلامِنا إِلّا الغَضَبْ.
غَضَبٌ... غَضَبْ...

وَشِفاهُنا أُنْشودَةُ التَّغْيِيرِ
في رَجْعِ الأَماني.
لا الصَّمْتُ يُخْرِسُ ما تُطَهِّرُهُ الدِّماءُ
وَلا طَواغيتُ الزَّمانِ...

- ٣ -

وَحْدي، يُحاصِرُني الرِّياءْ.
وَحْدي، يُحاصِرُني الَّذينَ تَقَنَّعوا بِشِعارِهِمْ
وَتَغَلْغَلوا فينا
وَخَبَّأَ زِيفُهُمْ صَمْتٌ هَباءُ.
وَحْدي أَنامُ عَلى يَقيني.
ما زِلْتُ أُولَدُ كُلَّ يَوْمٍ في الضَّمائِرِ
مِثْلَ صاعِقَةٍ
يُعَلّيها طُموحُ الشَّعْبِ في أَقْصى حَنيني.
ما زالَ يَمْخُرُني الصَّفاءُ
فَأَشُدُّ في كَفَّيَّ كَفَّ النّاسِ

أَكْتُبُ مِنْ ضَميرِهِمِ القَصيدَةَ/ لَسْتُ وَحْدي.
كُلُّ صَوْتٍ أَنَّ مِنْ ذُلِّ التَّزَلُّفِ كانَ حَوْلي.
كُلُّ ثَغْرٍ قالَ: لا لِلَّيْلِ حَوْلي.
كُلُّ وَجْهٍ ثارَ في جُرْحِ الكَرامةِ كانَ حَوْلي.
وَأَنا هَديرُ النّاسِ
حينَ يَصيرُ صَوْتُهُمُ قَصائِدَ،
أَوْ بِدايَةَ شُرْعةِ التَّغْييرِ،
حينَ تَصيرُ وَحْدَتُنا نَشيدًا بُرْتُقالِيًّا
يَقُضُّ مَضاجِعَ الطُّغْيانِ
حَتّى العَظْمِ
أَوْ نارًا تَخُطُّ بِحَرْفِها المشْبوبِ جَنّاتِ المكانِ.
وَأَنا القَصيدَةُ حينَ تَلْتَهِبُ الشِّفاهُ
وَيَمْسَحُ الدَّمُ ما تَدَنَّسَ في الجِنانِ —
لا الصَّمْتُ يُخْرِسُ ما تُطَهِّرُهُ الدِّماءُ
وَلا طَواغيتُ الزَّمانِ.

– ٤ –

طالَ الصَّدى،
وَالبَحْرُ رَدَّ رِداءَهُ الفَضْفاضَ مِنْ حَوْلي
لِيَفْتَحَ حُزْنَهُ وَطَنًا تَسَمَّرَ
في عَناقيدِ الرِّياءِ بِلا ظِلالْ –
طالَ الصَّدى.
وَحْدي القَصيدةُ وَهْيَ تَرْحَلُ في المحالْ.
وَحْدي نَشيدُ البُرْتُقالْ.
لَكِنَّني شَعْبٌ يَلُمُّ ضَميرَهُ في قِمَّةِ الدُّنْيا
كَأَنَّ هَديرَهُ كَسَرَ المنافيَ وَالسُّجونَ
وَقَلَّصَ الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا
وَأَوْغَلَ في حُروفِ الأَبْجَدِيَّهْ –
وَحْدي أَنا صَوْتُ القَضِيَّهْ.
أَلْأَرْضُ تَسْكُنُني
وَيَرْحَلُ في عُروقي السِّنْدِيانُ وَضَوْعُهُ النّارِيُّ،
يَرْحَلُ فِيَّ صَوْتُ مَشيئَةِ التَّكْوينِ:

كُنْ فَيَكونَ...
أَنْتِ حَقيقَتي، يا نارُ،
فَاكْتُبْ، أَيُّها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
أَنا نَشيدُ البُرْتُقالْ
وَأَنا المسافِرُ في أَنينِ الشَّعْبِ
أَحْمِلُ جُرْحَهُ في القَلْبِ
أُعْلِنُهُ قَضِيَّهْ —
وَأَنا المسافِرُ في المراراتِ القَصِيَّهْ،
وَأَنا الجَوابُ... أَنا السُّؤالْ.
أُكْتُبْ يُها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
سَيُفْتَحُ التَّغْييرُ في آفاقِنا
حَتّى القَرارِ،
وَسَيَمْسَحُ الغَدُ ما تَكَدَّسَ في العُروقِ
مِنَ المهازِلِ وَالبَوارِ.
لَنْ تَسْتَحيلَ الأَرْضُ مَنْفًى لِلْبِلادِ:
سَتَكْسِرُ القاماتُ مَنْفاها

وَتَفتحُ بابَها لِلضَّوْءِ يَدْفُقُ في النَّهارِ.
أُكْتُبْ يُها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
أَنا الَّذي آخى مَنافي حُلْمِنا وَشَبابِنا
وَتَسَمَّرَتْ في كَفَّتَيْهِ أَمانَةُ التَّغْييرِ
فَانْصَهَرَتْ لَدَيْهِ أَبْجَدِيَّهْ،
وَأَنا المسافِرُ في أَنينِ الشَّعْبِ
أَحْمِلُ جُرْحَهُ في القَلْبِ،
أُعْلِنُهُ القَضِيَّهْ.
أُكْتُبْ يُها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
أَنا المهاجِرُ في عُروقِ الأَرْضِ
أَحْضُنُ قَلْبَها
وَأَكونُ شُعْلَتَهُ إِذا القَلْبُ ٱلتَهَبْ.
وَأَنا ضَميرُ الوَقْتِ
أَكْتُبُ في قَصيدَتِهِ عُروقي
أَوْ أُشَرِّعُ في قَصيدَتِهِ اللَهَبْ،
وَأُزَيِّرُ الدُّنْيا بِرَفْضِ الشَّعْبِ

أَخْلُقُ في قَرارتِها عَصَبْ.

أُكْتُبْ يُها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:

أَنا المسافِرُ في عَبيرِ شَبابِنا،

وَحْدي أَنا جُرْحُ الكَرامَةِ وَالغَضَبْ...

باب جَهَنَّم

(إلى شهداء ٢٠٠٦)

- ١ -

فُتِحَ البابْ:
ماذا يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيَّ إلى الأَرْضِ المحروقَهْ؟
مَنْ يَسْقُطُ مِنْ قَلْبي مَذْبوحًا
وَيُراقبُ عَبْرَ دِماهُ المسْفوكَةِ
طارِقَةَ اللَيْلِ الزّاني وَبُروقَهْ؟
مَنْ يَهْزَجُ فَوْقَ الموْتى
مُشْتَهِيًا جِيَفَ الحُزْنِ الملْقاةِ عَلى الدُّنْيا؟
فُتِحَ البابْ:
لَفَحَتْ نارُ الموْتِ سُهولَ الأَرْضِ
وَأَرَّخَ رَعْدُ الكابوسِ زَمانًا
يَتَكَسَّرُ كَالرُّعْبِ المُنْتابْ.
وَتَمَطَّتْ ضَعْضَعَةُ البابِ المتَثائِبِ

في قَلْبي
وَأَنا وَجَعُ الأَرْضِ المَنْكوبَةِ بِالزُّلْفى
وَ بِأَحْلامِ مُلوكِ طَوائِفَ
صَدَّعَها التّاريخُ طَويلًا
وَانْزَرَعَتْ كَالفَحْمِ الأَخْرَسِ في أَعْيُنِنا،
وَأَنا
أَتَشَظّى في كُلِّ مَكانْ
وَيُهالُ عَلى على عَيْنيَّ تُرابْ.
فُتِحَ البابْ:
خَرَجَتْ مِنْهُ وُحوشٌ جائِعَةٌ في هَرْجِ النّارِ
وَحِقْدٌ يُغْمَدُ في وَجَعِ الأَرْضِ،
يُحاصِرُ هَذا الزَّمَنَ المَخْلوعَ وَيَكْسِرُهُ،
وَالزَّمَنُ المَكْسورُ عَلى أَعْيُنِنا
يَتَطايَرُ مِثْلَ لُحومِ الأَمْواتِ
وتَقضمُهُ أنيابْ.
فُتِحَ البابْ:

خَرَجَتْ أَطْيافُ ضِباعٍ وَسَرابْ...
خَرَجَ اللَيْلُ إلى الدُّنْيا
يَتَخَفّى بِالحَقِّ الكَذّابْ.
أَتَراجَعُ نَحْوَ قَرارةِ قَلْبي
كَيْ أَقْطِفَ مِنْهُ زُهورَ اللَوْنِ
وَلَكِنّي أَتَهاوَى نَحْوَ بَريقٍ يَخْدَعُني/
أَيُّ الأَلْوانِ سِوى لَوْنِ القَهْرِ النّابِتِ بَيْنَ الشَّوْكِ؟
أُحاوِلُ أَنْ أُغْلِقَ نافِذَةَ الرُّعْبِ
وَلَكِنَّ رِياحَ الحَرْبِ تُخَلّعُها
وَتُكَسِّرُ في قَلْبي الرّاياتِ البَيْضاءَ/ تَطيرُ
عَلى أَرْضي أَسْرابٌ مِنْ بومٍ وَغُرابْ.
فُتِحَ البابْ:
تَتَقَدَّمُ نَحْوَ الأَرْضِ ضِباعٌ.
تَتَحَصَّنُ بِالحَقِّ المَلْغومِ ضِباعٌ.
زُرِعَ المَوْتُ عَلى الطُّرُقاتِ
وَهَبَّتْ عاصِفَةٌ مِنْ لَيْلٍ كَالفَحْمِ/

تَصَدَّعَ قَلْبي (وَأَنا كُلُّ تُرابِ الوَطَنِ المحْروقِ)،
تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ كَكِسْرَةِ خُبْزٍ جَفَّتْ،
وَتَصَدَّعَتِ الأَجْسادُ،
ٱنْغَرَسَتْ تَحْتَ الرَّدْمِ/
ضِباعٌ تَتَقَنَّعُ بِالحَقِّ
وَتَجْمَعُ مِنْ كُلِّ شَتاتِ الأَرْضِ
حُشودًا وَوُحوشًا،
وَتُراوِغُ حَتّى اللّيْلِ،
وَتَرفَعُ مِنْ تَشْويهِ كَلامِ اللهِ
وَمِنْ جِلْدِ المسْحوقينَ وَعَظْمِ القَتْلى
بُرْجًا لِلْمَوْتِ
وَبَيْتًا لِضِباعِ الأَرْضِ
تُسَمّيهِ "إِسْرائيلَ"
تُرَصِّعُهُ بجَمَاجِمِ قَتْلانا،
وَتُعَمِّرُ حَوْلَ ثَناياهُ
بِعِظامِ الأَطْفالِ المغْدورينَ

جِدارًا مِنْ لَحْمِ المَوْتى
يَتَحَرَّكُ فيهِ أَلَمٌ وَعَذابْ.
لَيْلٌ مَرْكومٌ في وَجْهِ الدُّنْيا،
وَخَرابْ.
لَيْلٌ يَطْفَحُ مِنْ أَرْضِ جَهَنّمَ
مَعْجونًا بِوُجوهِ القَتْلى
وَبِأَطْباقِ الزَّمَنِ المَكْسورِ عَلى عارِ الدُّنْيا.
فُتِحَ البابْ...

- ٢ -

أُمَمٌ تَتَلَوَّنُ بِالصَّمْتِ
وَتَزعَمُ أَنَّ الحَقَّ بِأَيْديها يَتَنَفّسُ/
لَكِنَّ الصَّمْتَ يُطارِدُها
وَنُجومَ اللَيْلِ تُذَرِّفُ دَمْعًا فَوْقَ مَقابِرِها،
وَتُخومَ الوَطَنِ المتَشَظّي
تَشْهَدُ لِلعارِ السّاري:

ضَبُعٌ تَأْكُلُ وَجْهَ الزَّمَنِ.
أُمَمٌ مِنْ قِطَعٍ وَضِباعٍ تَتَمَرَّغُ في العَفَنِ.
أُمَمٌ تَتَناسَلُ كَالجَرَبِ المُمْتَدِّ
وَتَزْعَمُ أَنَّ الحَقَّ يُضيءُ زَواياها
وَالحَقَّ يُبَرْعِمُ عَبْرَ قَضاياها،
وَالحَقُّ ذَبيحٌ في عارِ التّاريخِ
يُقَنِّعُهُ بِالزّيفِ وُحوشٌ
تَخْرُجُ مِنْ بابِ جَهَنَّمَ
نَحْوَ جَنوبِ الأَرْضِ،
وَتَحْمِلُ أَقْنِعَةً لِلْبُهْتانِ وَلِلزُّلْفى،
أَوْ تُخْرِجُ مِنْ قاعِ بِشارَتِها المَزْعومَةِ
وَجْهَ الكَفَنِ.
أُمَمٌ تَتَناسَلُ كَالقِطَطِ الجَرْباءِ
لِتَمْشِيَ خَلْفَ الوَحْشِ الضّاري.
عَرَبٌ تَشْهَدُ لِلْعارِ
وَتَبيعُ قَضاياها لِزَبانِيَةٍ مِنْ أَرْضِ جَهَنَّمَ

أَوْ تَتَباكى لِلْحَقِّ المذْبوحِ
عَلى وَجَعِ الوَطَنِ المنْهارِ.
أُمَمٌ كَسَرَتْ وَجْهَ النورِ
وَعَلَّتْ رُعْبَ اللَيْلَ بِميثاقٍ يَتَهاوى
كَالوَرَقِ الذّابلِ فَوْقَ لُحومِ الأَطْفالِ/
يَصيرُ الصَّمْتُ زُهورًا بَيْضاءَ
تُسَوِّرُ هَذا الوَطَنَ الدّامِيَ،
تَحْميهِ مِنْ طَلْعِ جَهَنَّمَ،
تَخْرُجُ مِنْ كُلِّ شُقوقِ الأَرْضِ،
وَتَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ رُكامِ المقْهورينَ
وَمِنْ أَحْلامِ المقْهورينَ
وَمِنْ وَجَعِ النّاسِ النّامي
في كُلِّ زَوايا الوَطَنِ،
وَتُعَلّي سورًا مِنْ رائِحَةِ الإِيمانِ
بِوَجْهِ ضِباعِ الأَرْضِ،
وَتَزْرَعُ أَكْوامَ الأَمَلِ الصّاهِلِ

حَوْلَ الدِّمَنِ:

دِمَنٍ مُلْقاةٍ في كُلِّ مَكانٍ

تَرْسُمُ لافِتَةَ الحِقْدِ المتَفَجِّرِ

مِنْ بابِ جَهَنَّمَ،

تَزْرَعُها بِلُحومِ الأَطْفالِ

وَآلامِ الشَّعْبِ المقْهورِ

وَعَرْشِ الشَّرِّ الرّافِعِ لافِتَةَ الكَفَنِ —

أَلْكَونُ تَضاحَكَ حَوْلَ الكَفَنِ،

وَالرُّعْبُ تَضاحَكَ حَوْلَ الكَفَنِ،

وَالحِقْدُ تَضاحَكَ حَوْلَ الكَفَنِ...

وَضِباعُ الزَّحْفِ تَفيضُ

وَتَغْرِسُ راياتِ جَهَنَّمَ في كُلِّ مَكانٍ،

لَكِنَّ الزَّهْرَ النّامِيَ في وَجْهِ طَوابيرِ جَهَنَّمَ

يَضْرِبُ وَجْهَ الحِقْدِ الجَوّابْ —

مَنْ يُقفِلُ هَذا البابْ؟

- ٣ -

خَرَجَ العَزْمُ إلى الطُّرُقاتْ:
قَدَمٌ تَصْهَلُ في الطَّعَناتْ.
قَدَمٌ تَضْرِبُ وَجْهَ الأَرْضْ.
قَدَمٌ تُعْلِنُ عيدَ الرَّفْضْ.
كَثُرَتْ في المرْجِ الزَهَراتْ.
أَلصُّبْحُ الزّاحِفُ نَحْوَ اللَيْلِ
يَصُدُّ وُحوشَ الزَّحْفِ،
يُقيمُ سِتارًا مِنْ عَزْمٍ حَوْلَ الأَرْضِ
وَيَرْوي بِالدَّمِ طَلْعَ الوَطَنِ.
أَلصُّبْحُ الزّاحِفُ يَضْرِبُ وَجْهَ الكَفَنِ،
وَالصُّبْحُ مَرايانا وَهَديرُ الزَّمَنِ النّاهِضِ
مِنْ تَحْتِ الأَنْقاضِ/ قُرانا
تَلْتَفُّ بِقَلْبي
وَتُزَنِّرُها أَذْرِعَةُ الشِّعْرِ المتَدَفِّقِ
مِنْ أَزْهارِ التَّحْريرِ.

قُرانا تَقْرَأُ "سورَةَ قانا"
أَوْ "سورَةَ عَيْتا الشَّعْبِ وَمَرْواحينَ"
وَكُلَّ السُّوَرِ المَتْلُوّةِ تَحْتَ الموْتِ
لِتَكْسِرَ وَجْهَ الموْتِ
وَتَرْفَعَ عارَ الصَّمْتِ عَنِ الدُّنْيا.
أَلْحِقدُ تَهَشَّمَ تَحْتَ نِعالِ الحُبِّ الدَّافِقِ
مِنْ أَزْهارِ جَنوبِ الأَرْضِ:
كِتابٌ
يُطْلِقُ سُورَتَهُ
وَيَصُدُّ صُراخَ الوَحْشِ.
كِتابٌ
يَضْرِبُ بِالآياتِ ضِباعَ اللَيْلِ
وَيَتْرُكُها جُثَثًا يَقْضِمُها الرُّعْبُ.
كِتابٌ
يَتْلو قِصَصَ المجْدِ عَلى الدُّنْيا
وَهَديرَ الحَقِّ.

كِتابٌ
يَرْشُقُ بِالحُبِّ طَوابيرَ جَهَنَّمَ
كَيْ يَتَهَشَّمَ جِسْمُ اللَيْلِ
وَيُصْبَغَ بِالحَقِّ العَتْمُ المتَرَبِّصُ/
سُدَّ البابُ بِوَجْهِ زَبانِيَةِ اللَيْلِ
وَأَفْراسِ جَهَنَّمَ
وَالعارِ اللابِسِ ثَوْبَ المجْدِ
وَكُلِّ ضِباعِ الحَقِّ الكَذّابْ.
سُدَّ البابْ.
سُدَّ البابْ...

أَلْفَجْرُ النّاهِضُ يُعْلِنُ تاريخَ الرَّفْضْ.
أَلْفَجْرُ النّاهِضُ
يَلْثُمُ خَدَّ الأَرْضْ.

(آب – ٢٠٠٦)

زهرة الدم
(أو قصيدة بيار الجميّل)

- ١ -

سَقَطَتْ دِمايَ عَلى دِماكَ
تَشُدُّ أَرْصِفَةَ البَقاءِ عَلى البَقاءِ.
سَقَطَتْ عَلى الأَحْلامِ قَطْراتُ الدِّماءِ
وَتَرَنَّحَ الفَجْرُ المضَرَّجُ بِالنَّشيجِ،
كَأَنَّ كُلَّ قَرَنْفَلٍ أَوْ زَنْبَقٍ
دَمَعَتْ لَهُ عَيْناكَ
إِذْ جَبَلوا بِنورِهما حُبورَ الحالِمينْ،
وَكَأَنَّ كُلَّ مجَرَّةٍ خَشَعَتْ
تَرُدُّ لِوَجْهِكَ البَسّامِ نُضْرَتَهُ،
وَتَقْطِفُ مِنْهُ نورَ شُموخِها
وَصَدى اليَقينْ
وَكَأَنَّ أَعْمِدَةَ المساءِ

صُدِّعْنَ مِنْ هَوْلِ الذُّهولِ
إذا ارْتَدى وَجَعُ الطَّريدةِ نَزْفَها،
وَتَكَسَّرَتْ هاماتُ مَنْ لَمْ تَنْكَسِرْ هاماتُهُمْ
إلّا لِأَحْكامِ الشَّهادةِ وَالقَضاءِ،
وَكَأَنَّ أَعْماقَ الفَضاءِ
خَشَعَتْ لِشَمْخَتِكَ الَّتي سَمَقَتْ،
وَقَصَّفَها الحَنينْ.
سَقَطَتْ دِمانا في دِماكَ
تَشُدُّ أَرْصِفَةَ البَقاءِ عَلى البَقاءِ،
سَقَطَتْ عَلى الأَحْلامِ قَطْراتُ الدِّماءِ.

- ٢ -

لَيْلٌ بِحَجْمِ مَرارةِ الوَطَنِ المسَجّى
في القُلوبْ.
لَيْلٌ يُحاصِرُنا بِجِبْرٍ
يَعْزِلُ الموْتَ الدَّؤوبِ...

ما زالُ وَجْهُكَ، في جُنونِ المَوْتِ،
يُشْرِقُ عاليًا
كَخُيوطِ شَمْسٍ كاشَفَتْنا نورَها
وَتَكشَّفَتْ عَنْ أَرْخَبيلِ الضَّوْءِ
حينَ تَجَمْهَرَتْ ظُلَمُ الطُّغاةِ،
وَتَوَقَّدَتْ، حَتّى كَأَنَّ أَجيجَها العاري
يُسَوِّرُنا، وَيَخْشَعُ في زَغاريد الحَياةِ.
فَلْتَنْتَظِرْ!
رَحَلَتْ خُطاكَ إلى سَحابِ الفَجْرِ،
وَانْشَطَرَتْ دِمانا —
كَمْ كُنْتَ تَسْكُنُ في دِمانا!
جَرُّوكَ في السّاحاتِ — لَمْ تَسْقُطْ،
وَلَكنْ كَلَّلوكْ.
وَرَمَوْكَ في تيهِ البَراري — لَمْ تَتِهْ عَنّا
وَلَكِنْ أَبْعَدوكْ،
وَتَقاسَموكَ جَميعُهُمْ وَتَوَزَّعوكْ

وَظَلَلْتَ تُشْرِقُ في مُنانا –
كَمْ كُنْتَ تَسْكُنُ في دِمانا!

– ٣ –

بِٱسْمي،
وَبِٱسْمِ الفَجْرِ
وَالجبَلِ المرَصَّعِ بالشَّهادَةِ وَالجِراحِ،
قُمْ
وَانْتَظِرْ ميلادَنا الثّاني
وَهُبَّ مَعَ الصّباحِ
وَتَوَسَّدِ الضَّوْءَ المُذَرْذِرَ مِنْ جِراحاتِ القُلوبِ،
يُها الَّذي جَمَعَ القُلوبَ
وَلَخَّصَ الزَّفَراتِ، قُمْ!
دَمُنا عَلى الطُّرُقاتِ يَلْهَثُ في دَمِكْ،
وَجِراحُنا الحَمْراءُ تَلْهَثُ في دَمِكْ،
وَضَميرُنا الحاني عَلى الزَّفَراتِ

يَلْهَثُ في دَمِكْ...
قُمْ، يا سَليلَ النّارِ في دَمَعاتِنا الحَرّى،
فَنَخْتَصِرَ الزَّمانَ
وَنُخْرِجَ الدُّنْيا إِلى الدُّنْيا
وَنَكتُبَ بِاسْمِكَ الآتي
لِمَنْ خَطّوا عَلى أَلَقِ الفِداءِ
آياتِنا الحَرّى
وَإِنْجيلَ الشَّهادةِ وَالدِّماءِ.
دَمُنا عَلى الطُّرُقاتِ يَلْهَثُ في دَمِكْ.
قُمْ نَسْتردَّ مَعًا مَلامِحَنا
لِنَرْفَعَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ حُروفِ القَهْرِ
في وَجْهِ القَضاءِ —
حَتْمًا مَلامِحُنا سَتَغْدو في دَمِكْ،
وَنَصيرُ عاصِفَةً تُزَوْبِعُ
ما تَأَصَّلَ مِنْ ظَلامِ الكُفْرِ
في شَرْيانِ هَذي الأَرْضِ،

أَوْ
سَنَصيرُ صَوْتَكَ
يَصْدَعُ الصَّلَفَ الَّذي قَدَّ المدى،
يا زَهْرَةَ الدَّمِ
في جَميعَ العابِرينَ إِلى السَّناءِ،
يا صَوْتَنا الدّاوي عَلى آفاقِ صَحْوَتِنا
لِتَحْضِنَهُ سَمانا،
يا صَرْخَةَ القَدَرِ الَّتي ارْتَجَّتْ لَها
روحُ الفَضاءِ،
كَمْ كانَ صَوْتُكَ
يَصْدَعُ الصَّلَفَ الَّذي غَطّى ذُرانا —
كَمْ كُنْتَ تَسْكُنُ في دِمانا!

– ٤ –

أَلْفَجْرُ يُشْرِقُ مِنْ جِراحِكَ،
وَالتُّرابُ

يَذْرو بِهِ دَمُكَ السَّخِيُّ الزَّهْرَ أَحْمَرَ،
وَالعَذابُ
نارٌ تُصَفّي ما تَكَدَّسَ
في ظَلامِ النَّفْسِ مِنْ عَفَنِ الدُّهورْ.
أَلْفَجْرُ يُشْرِقُ مِنْ جِراحِكَ،
وَالبَخورْ
حَقْلٌ يُعَطِّرُهُ ضَميرُكَ
كُلَّما امْتَلأَتْ بِسَوْسَنِكَ السَّماءُ.
تُراكَ أَنْتَ مَعَ الَّذينَ تَجَمْهَروا
في قِمَّةِ السَّمْتِ السَّحيقِ
لِيُبْصِرونا قابِعينَ شَراذِمًا تَحْتَ الظِّلالِ؟
وَتُراكَ لَوَّنْتَ الشُّموسَ بِنورِها
لِتُطِلَّ مِنْ فَوْقٍ عَلَيْنا
حينَ نَقْزُمُ في جَليدِ العَرْشِ
أَوْ نَنْسَلُّ كَاليَنْبوعِ ذُلًّا
تَحْتَ آثارِ النِّعالِ

لِنُرَقِّعَ العَرْشَ الذَّلولَ بِعارِنا
وَتَصيرَ حُكّامَ العَمالِقِ
كُلُّ أَشْباهِ الرِّجالِ!

***

سَيَظَلُّ صَوْتُكَ، يا سَليلَ النّورِ،
مِطْرَقَةً،
وَتَكْتُبُكَ الشَّهادَةُ أَبْجَدِيَّهْ،
سَتَظَلُّ في دَمِكَ القَضِيَّهْ،
وَيَظَلُّ قَلْبُكَ نابِضًا فينا،
عَريقًا كَالسَّماءِ
وَكَشَمْخَةِ الجَبَلِ الَّذي خَشَعَتْ لَهُ
هامُ العُصورِ
وَبارَكَتْهُ يَدُ القَضاءِ.
سَتَظَلُّ في دَمِكَ القَضِيَّهْ
وَنَظَلُّ نَحْمِلُها إِلى أَقْصى المدى

لِنُقَطِّعَ الأَيْدي الَّتي تَمْتَدُّ نَحْوَ قُلوبِنا،
وَلِنَمْسَحَ الصَّدَأَ المعَشِّشَ
فَوْقَ هَذا العَرْشِ،
يا صَوْتًا نَقِيًّا كَالدِماءِ —
سَتَظَلُّ في دَمِكَ القَضِيَّهْ،
سَتَظَلُّ في دمِكَ الشَّهادَةُ أَبْجَدِيَّهْ.

٢٥ — ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٦

نشيد النضال

(أو قصيدة محمود درويش)

- ١ -

أَقْفَلْتَ عَيْنَكَ،
ثُمَّ نُمْتَ عَلى هُدوءِ الحُلْمِ
وَامْتَدَّ المَنامُ،
وَتَرَكْتَ صَوْتَكَ في المدى يَدْوي...
فَيَرْتَعِدُ الظَّلامُ!

كَيْفَ انْكَبَبْتَ عَلى الرَّحيلِ
فَعَزَّتِ الدُّنْيا عَلَيْكَ،
وَعَزَّ أَنْ تُقْعِي بِصَمْتٍ
حَيْثُ لا أَبْطالَ
إِلّا الرّاكِعونَ عَلى مَطاوي العارِ،
حَيْثُ الفاتِحونَ رَمَوا فُتوحَهُمُ وَنامُوا...

كَيْفَ ٱنْكَبَبْتَ عَلى الرَّحيلِ
وَلَمْ تَزَلْ في الأَرْضِ مُنْجَذِرًا
وَما زالَ التُّرابُ مُقَبِّلًا عَيْنَيْكَ
في وَهْجِ القَصيدَةِ...
كَيْفَ صارَ الحَرْفُ عِنْدَكَ
سَيْفَكَ المسْلولَ
مُنْسَلِطًا عَلى أَعْناقِ أَبْناءِ الأَفاعي،
كُلَّما جَرَّدْتَهُ ٱرْتَدّوا عَلَيْكَ
فَقَزَّمَتْهُمْ أَبْجَدِيَّهْ،
وَانْثَلَّ بُرْجُهُمُ المرَصَّعُ بِالعِظامِ وَبِالجَماجِمِ
تَحْتَ نيرانِ القَضِيَّهْ،
وَأَمَدَّهُمْ غَرْبٌ
يُقَدِّسُهُ الظَّلامُ بِلَعْنَةٍ جَرْباءَ
فَانْتَعَشوا وَقامُوا...!
ما هَمَّ؟
أَنْتَ يَفيضُ فيكَ ضَميرُكَ العاري

وَصَوْتُكَ مُشْرَئِبٌّ في حُروفِ الشِّعْرِ،
لا يُخْفيهِ لَيْلٌ، أَوْ يَنامُ...
ما هَمَّ؟
كُلُّ مَرارةِ الماضي سَتَبْقى جُرْحَكَ المفْتوحَ
في أَرْضِ العَرَبْ،
وَيَطيرُ صَوْتُكَ في جُموحِ الحُلْمِ
أَبْعَدَ مِنْ مَتاهاتِ المدى
حَتّى كَأَنَّ الحَرْفَ يَخْتَصِرُ الغَضَبْ...
ما هَمَّ؟
يا مَحْمودُ، نَمْ،
فَاللَيْلُ أَخْصَبَ جُرْحَكَ المفْتوحَ،
وَالدَّمُ لَوَّنَ الدُّنْيا
وَأَرْعَبَها القَتامُ،
وَالعارُ يَجْلُدُ لَحْمَ أَقْوامٍ
تَجُرُّ عَلى الرِّمالِ خُطوبَها
وَيَلُمُّها عَرْشٌ

تُرَقِّعُهُ جُلودُ النّاسِ
وَالدَّمُ وَالعِظامُ...

- ٢ -

أَقْفَلْتَ عَيْنَكَ ثُمَّ عُدْتَ إِلى الَّتي غَنَّيْتَها –
هِيَ أُغْنِيَهْ.
أَلْكَوْنُ أَرْضٌ فانِيَهْ...
وَالكَوْنُ كُلُّ الكَوْنِ يَحْلُمُ
في مَدارِ البُرْتُقالْ.
هِيَ أُغْنِيَهْ
وَالفَجْرُ يَحْمِلُها
لِتُسْكَبَ في تَفَتُّحِهِ رِجالْ.
هِيَ أُغْنِيَهْ
أولى لَدَيْكَ وَثانِيَهْ...
هِيَ أَبْجَدِيَّتُكَ الَّتي سَوَّرْتَ أَحْرُفَها بِروحِكَ
ثُمَّ قُلْتَ:

"أَنا الدَّمُ المسْفوكُ مِنْ قَلْبِ القَضِيَّةِ والشهيدُ!"
ما زِلْتَ تَشْهَدُ،
حينَ تُقْفِلُ في المدى عَيْنَيْكَ،
تُرْسِلُ حُلْمَكَ العاري
إِلى كُلِّ الجِهاتِ رَسائِلًا،
وَتَقولُ: "حَمَّلْتُ الأَغانِيَ كُلَّ أَحْلامي،
وَأَطْلَقْتُ القَصيدَةَ مِنْ مَعاقِلِها —
أَنا الخَتْمُ الحَقيقيُّ المُشِعُّ،
أَنا الرَّسائِلُ وَالبَريدُ!"
ما زِلْتَ تَشْهَدُ،
حينَ تُقْفِلُ في المدى عَيْنَيْكَ،
ما زالَتْ تُتَوِّجُكَ الحُروفُ
وَيَشْرَئِبُّ الشِّعْرُ مِنْ زَهْوٍ
وَيَزْهو في قَصيدَتِكَ النَّشيدُ...
سَتَكونُ، يا مَحْمودُ، صَوْتَ الجيلِ
إِذْ يَتَعَلَّمُ الأَطْفالُ كَيْفَ يُناضِلونَ،

وَكَيْفَ تَنْكَتِبُ الشَّهادَةُ وَالشَّهيدُ.
سَيَكونُ حَقًّا ما تُريدُ:
أَلأَرْضُ تَحْرُسُها حُقولُ البُرْتُقالِ،
وَفي المدى تَزْهو قَصيدَتُنا –
أَلْحَقُّ صَرْخَتُنا،
وَالقُدْسُ رايتُنا...
سَيَكونُ حَقًّا ما تُريدُ.

٣ –

يا مَنْ رَمَتْهُ الرّيحُ مِنْ مَنْفًى إِلى مَنْفًى
لِيَغْدوَ في نَشيدِ البَحْرِ
رايةَ بُرْتُقالْ،
يا مَنْ يُرَصِّعُ صَوْتَهُ غَضَبٌ
وَيَكْسِرُ حَرْفُهُ سُورَ المحالْ،
غَنّي لِيَنْتَشِرَ اللَهَبْ،
غَنّي لِيَرْجِعَ لِلسُّيوفِ بَريقُها

وَتَرُدَّ آيُ الفَتْحِ تاريخَ العَرَبْ،
غَنّي...
لَعَلَّ الشِّعْرَ يُنْبِتُ في القُلوبِ مُروءَةً
وَيُعيدَ لِلْفُرْسانِ صَوْلاتِ الغَضَبْ.
غَنّي...
فإنَّ الموْتَ مَعْبَرْ،
وَالصَّمْتَ أَقْسى مِنْ جُموحِ العارِ
في اللَّيْلِ المخَدَّرْ...
غَنّي...
لَعَلَّ غِناءَكَ المُمْتَدَّ
يَنْشُرُ بَعْضَ نُسْغٍ
في ضَميرِهِمِ الحَطَبْ.
غَنّي...
لِيَرْجِعَ قَلْبُنا في الكَوْنِ أَخْضَرْ...
لَنْ يَكْسِرَ الوَحْشُ المزَمْجِرُ نُبْلَ مَحْتِدِنا،
فَاللهُ أَكْبَرْ...

أَلظُّلْمُ، يا مَحْمودُ، تَنْشُرُهُ قَنابِلُهُمْ،
وَيَزْرَعُهُ جُنونُ الذّاتِ في دُنْيا تَجَبُّرِهِمْ،
وَنَظَلُّ أَقْوى مِنْ تَوَسُّعِهِمْ،
وَنَظَلُّ أَقْوى مِنْ قَنابِلِهِمْ
وَتَظَلُّ أَرْضُ الرَّبِّ في دَمِنا
مَزاميرًا وَعَنْبَرْ،
وَالفَجْرُ يورِقُ مِنْ دِمانا
باسِمَ القَسَماتِ، أَخْضَرْ...

- ٤ -

نامَتْ بِعَيْنَيْهِ المنافي
فَارْتَدى أَلْوانَها
وَاشْتَفَّها في رايةٍ مِنْ بُرْتُقالِ،
وَأَشاحَ عَنْ أُمَمٍ
تَجُرُّ الحَقَّ مِسْحَةً
وَتَلْعَقُ خِفَّ أَشْباهِ الرِّجالِ،

وَتَسيرُ زاحِفَةً كَساقِيَةٍ ذَلولٍ
تَحْتَ عَيْنِ اللَيْلِ...
أَرْضُكَ هَذِهِ الأَطْلالُ، فَاجْمَعْها،
وَقُلْ: "باقٍ أَنا
في كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُروفِ الشِّعْرِ،
في رَجْعِ السُّيوفِ يَشِعُّ فَوْقَ نِصالِها
طَبْعُ الأَعالي...
باقٍ أَنا
في كُلِّ صاعِقَةٍ تُوَجَّهُ نَحْوَ حَيْفا
أَوْ تُوَجَّهُ بَعْدَ حَيْفا مِنْ قُرى لُبْنانَ...
باقٍ في جِباهِ مُقاوِمينَ
يُزَنِّرونَ الأَرْضَ بِالدَّمِ وَالشَّهادَةِ وَالقِتالِ،
باقٍ أَنا
في كُلِّ مِطْرَقَةٍ
تُقَوِّضُ بُرْجَ بابِلَ فَوْقَ رَأْسِ ضِباعِهِ
وَتُشَرِّعُ الدُّنْيا لِراياتِ الجَلالِ..."

- ٥ -

أَقْفَلْتَ عَيْنَكَ، فَلْتَنَمْ،
وَضَميرُكَ العاري
يَلُفُّ الأَرْضَ.
إِرْحَلْ، أَيُّها الرّائي، فَيَحْفَظَكَ الرَّحيلُ...
نَمْ، يا سَليلَ الشِّعْرِ، في قَلْبِ القَصيدَةِ.
كَمْ رَماكَ الوَقْتُ في المَنْفى،
وَكَمْ مَدَّ الذُّهولُ
في ناظِرَيْكَ رَهافَةَ الشُّعَراءِ
فَالْتَمَّ الزَّمانُ عَلى حُروفِكَ وَانْكَسَرْ،
وَتَعانَقَتْ في روحِكَ الأَمْداءُ وَالطُّرُقاتُ
فَاحْتَرْتَ المنافيَ وَالحِصارَ،
وَشَجَّ عَزْمُكَ ما رَماهُ العارُ في ظُلْمِ القَدَرْ —
هَذا هُوَ المَنْفى الأَخيرُ،
فَمُدَّ حَرْفَكَ وَاسْتَرِحْ،
وَاضْرِبْ سَدومَ بِهِ

لِتُمْطِرَ فَوْقَها نارًا وَكِبْريتًا
وَيَحْتَرِقَ الأُفُقْ —
هَذا هُوَ المَنْفى الأَخيرُ
فَلا رَحيلَ، وَلا طُرُقْ...
نَمْ، يا سَليلَ الشِّعْرِ، في أَلَقِ القَصيدَةِ
فَالنِّضالُ أَمانَةٌ،
وَالمَوْتُ حَتْمُ،
وَالجَنوبُ سَواعِدٌ وَمُقاتِلونْ
لِيَظَلَّ بُرْجُ العارِ مُرْتَعِشًا
وَيَبْقى الرُّعْبُ حَيًّا
في قُلوبِ ضِباعِهِ...
نَمْ، فَالجَنوبُ سَواعِدٌ وَمُقاتِلونَ
يَرُدُّ لَحْمُهُمُ الشَّهادَةَ رايَةً خَفّاقَةً...
وَلْتُخْبِرِ السُّمّارَ
أَنَّ الأَرْضَ تَحْبُلُ بِالجَنينْ،
وَبِأَنَّهُمْ يَتَوالَدونَ، وَيولَدونَ،

مِنَ القَصيدةِ يولَدونْ
وَيُقاتِلونَ، وَيَكْبَرونَ، وَيَشْهَدونْ...

***

نَمْ، يا سَليلَ الشِّعْرِ في العَلْياءِ
وَاقْرَأْ سورَةَ الغُفْرانِ،
وَاحْتَضِنِ النَّضارَةَ وَاللَهَبْ،
سَنَمُدُّ في كُلِّ المدى
صَوْتَ البُطولَةِ وَالنِّضالِ
لِتَسْجُدَ الدُّنْيا لِراياتِ الغَضَبْ...

٢٤ – ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٨

قصيدة غزّة

- ١ -

أَلَلَيْلُ يَكْتُبُ بِالدِّماءِ قَصيدَةً
وَيُلوِّنُ الدُّنْيا بِوَرْدٍ
ضَوْعُهُ كِبَرٌ وَسُكَّرْ...
صَبٌّ يَرُدُّ العارَ عَنْ مَعْشوقَةٍ،
وَيَصيحُ في وَجْهِ الدُّجى:
"أَللهُ أَكْبَرْ!"

***

أَفياؤُها مِسْكٌ،
وَرَيّاها زُهورُ البُرْتُقالْ،
وَضَميرُها نارٌ تَوَرَّدُ في المدى.
وَخُدودُها تُفّاحُ عَدْنٍ،
عَيْنُها طَرَبُ الخَيالْ.

بَسَماتُها وَرْدٌ وسُكَّرْ،
وَسُقوفُها شَهْدٌ وَعَنْبَرْ،
وفضاؤُها الممْتَدُّ في عَيْنِ الضِّباعِ كَرامَةٌ،
وَسِياجُها زَنْدُ الرِّجالْ.

***

أَلشَّمْسُ إِنْ شَرَقَتْ
فَجْرًا على غَزَّهْ
تَمْتَدُّ قامَتُها
لِتُلامِسَ العِزَّهْ.

- ٢ -

هَلْ قَطَّعَتْنا الشَّمْسُ عِنْدَ شُروقِها
فَانْقَاسَتِ الأَجْسادُ بِالأَشْلاءِ
أَوْ رَفَعَتْ حُروفُ الأَبْجَديَّةِ
وَحْيَها عَنْ كُلِّ شِعْرٍ

فَارْتَدَيْنا الوَرْدَ أَحْمَرَ نَكْتُبُ الدُّنيا بِهِ...؟
طالَتْ لَيالي الأَرْضِ،
وَامْتَدَّ المغيبْ،
وَانْشَقَّ وَجْهُ الفَجْرِ عَنْ بُرْجٍ
يُرصِّعُهُ النَحيبْ،
وَيَطولُ في وَجْهِ السَّماءِ
لِيَمْسَحَ الآياتِ عَنْ تَوْراتِها
وَيَرُدُّهَا خِرَقًا
فَيَسْنُدَ بُرْجَهُ الملْعونَ في اللَيْلِ الرَّهيبْ...
بُرْجٌ تُزَنّرُهُ ضِباعُ الأَرْضِ
في صَلَفٍ عَجيبْ
يَمْتَصُّ وَهْجَ الحُبِّ في الدُّنْيا
لِيَرْمِيَهُ حُطامًا لِلضَّغينةِ وَالمَمالِكِ:
طَلْعُهُ مِنْ زَعْزَعٍ في النّارِ
تَحْفُرُ إِسْمَ "إِسْرائِيلَ"
مِنْ كُلِّ المَمالِكِ في شَتاتِ الأَرْضِ،

يُرْفَعُ ظِلُّهُ المسْبوكُ في هَولِ اللَهَبْ،
وَتُحيطُهُ بالمَوْتِ آلافُ الجَماجِمِ وَالضِّباعِ،
يُرَقِّعُ الحيطانَ في أَرْجائِهِ
جِلْدُ الأَرامِلَ وَاليَتامى
وَالدَّمُ المسْفوكُ في أَرْضِ العَرَبْ...

- ٣ -

قالوا: سَيَرْحُلُ مِنْ مَخاوِفِهِمْ
عَنِ الحَقْلِ المديدِ كَثيرُهُمْ،
وَكَثيرُهُمْ سَيُصابِ بِالصَّمْتِ العَميقِ
لِكَي يَنالَ القَمْحَ،
يَرْحَلُ في جُفونِ اللَيْلِ،
يَرْحَلُ في اتِّساعِ الأَرْضِ،
في كُلِّ المدى...
سَتَكونُ في مُدُنِ المدى المسْلوخِ عَنْ آفاقِهِ
مُدُنٌ حَديدُ،

يَمْتَدُّ خَلْفَ شَريطِها لَوْنُ الحَدائقِ،
وَالقَضاءُ الصّارِمُ الرّاسي،
وَ"شَعْبُ اللهِ"، وَالقَدَرُ الأَبيدُ...
سَيَكونُ خَلْفَ شَريطِنا مَوْتى
وَرُعْبٌ لا يَبيدُ...
لَكِنَّما تَعِبَ الظَّلامُ مِنَ الظَّلامِ
وَعانَدَتْهُ قَصيدَةٌ
شُعَراؤُها تَطْوي القَصائِدِ
ثُمَّ تَنْشُرُها بِلادا،
كَلِماتُها دَمُهُمْ
وَرُؤْياها ضِياءٌ سَيْفُهُ شَقَّ الرَّمادا.
تَعِبَ الظَّلامُ مِنَ الظَّلامِ وَأَهلِهِ...
تَعِبَ الظَّلامُ،
وَالبُرْجُ لا يَنْفَكُّ مُنْتَصِبًا عَلى الدُّنْيا
يُدينُ وَلا يُدانُ،
وَيَرقَعُ الدُّنْيا بِجَعْجَعَةِ الرَّحى

إِذْ تُسْحَقُ الأَطْفالُ تَحْتَ صُخورِها
وَجَماجِمُ العُبّادِ
وَالصَّبْرُ المقَدَّدُ وَالعِظامُ...
تَعِبَ الظَّلامُ،
وَتَدَفَّقَتْ في وَجْهِهِ رِيحُ الكَرامَةِ
حينَ وَشَّحَها دَمُ العُشّاقِ
وَالعَزْمُ الَّذي يَرِثُ البَسيطَةَ بِالحياةِ
وَلا يَنامُ.

- ٤ -

أُمَمٌ تُقَنّعُ نابَها بِالمَكْرِ
وَالعَدْلِ المضَمَّخِ بِالدِّماءِ.
أُمَمٌ سَرابٌ تَسْحَبُ الأَشْلاءَ في طُرُقاتِها
وَتُلوّنُ الحَقَّ المصَدَّعَ بِالهُراءِ،
وَيقومُ طاغوتٌ هُنا
يَصْطادُ بِاسْمِ الحَقِّ بَسْماتِ الصِّغارِ،

وَيَفتَحُ اللَّيْلَ البَهيمَ عَلى المدى...
فَتَّشْتُ عَنْ أُفُقٍ لِأَزرَعَ فيهِ صَوْتي
أَوْ أُواريَ جُثَّتي...
فَتَّشْتُ عَنْ أُفُقٍ لِأُطلِقَ صَرْخَتي...
لَكِنَّما ضاعَ المكانُ،
فَلا مَدارَ وَلا طَريقْ.
لا شَيْءَ غَيْرَ النَّوْمِ مِنْ حَوْلي،
وَلا بَرْقٌ عَلى كَبِدِ السَّماءِ،
وَلا رَفيقْ...
وَحْدي أَهيمُ عَلى مَدى جُرْحي،
وَأَحمِلُ رايَتي لِلْواقِفينَ
يُضيئُهمْ جُرْحٌ كَجُرْحي،
وَالمدى عَبَثٌ ثَقيلٌ
في سُباتِ الأُمّةِ البَكْماءِ...
وَحْدي في شَوارِعِ جُرْحِنا المفْتوحِ
أَكْتُبُ مِنْ دَمي حَرْفَ القَصيدةِ

حينَ يَغْدو الكَوْنُ، مِثْلَ الأُمّةِ البَكْماءِ،
أَبْكَمَ... حينَ تنْطَمِسُ الطَّريقُ.
وَأَصيرُ في جُرْحي طَريقي...
تولَدُ الأَجْيالُ مِنْهُ وَالحَريقُ.
لا شَيْءَ غَيْري
في المدى المفْتوحِ لِلآتي،
وَأَحْمِلُ رايَتي لِلْعاشِقينَ،
أُضيئُهُمْ بقَضِيَّتي،
وَقَضِيَّتي أَعْلى مِنَ البُرْجِ البَغيضِ –
أَنا المدى وَالحُلْمُ وَالآتي
وَلَوْنُ العِشْقِ حِينَ يَصيرُ تاريخًا.
أَنا القُدْسُ الَّتي ارْتَفَعَتْ كَنائِسُها،
وَصَلَّتْ في مآذِنِها الأُلوهَةُ.
كُلُّ جُرْحٍ في المدى جُرْحي،
وَكُلُّ دَمٍ يُراقُ دَمي.
أَنا وَجْهُ العُروبَةِ حينَ تَسْفُكُهُ ضِباعُ الغَرْبِ

أَوْ تَأْوي سُيوفُ الفَتْحِ لِلنَّوْمِ الثَّقيلِ.
أَنا الكَرامَةُ حينَ يَغْدو العِزُّ جُرْحًا
وَالحِصارُ قَضِيَّةً لِلْأُمّةِ الخَرْساءِ...
وَجْهي كُلُّ وَجْهٍ، وَالدِّماءُ دَمي.
سَأَظَلُّ في أَعْصابِ غَزَّةَ رايَةً،
وَيَظَلُّ صَوْتُ الحَقِّ يَخْرُجُ مِنْ فَمي.

***

أَلشَّمْسُ إِنْ شَرَقَتْ
فَجْرًا عَلى غَزَّهْ
تَمْتَدُّ قامَتُها
لِتُلامِسَ العِزَّهْ،
وَالأَرْضُ مِنْ دَمِها
تَخْتالُ مُعْتَزَّهْ.

– ٥ –

أَلْعَدْلُ مَذْبَحَةٌ تُزَحْزِحُها تَلاوِينُ القَتامِ،
وَالكَوْنُ يَقْتَرِفُ الجَرِيمَةَ باسِمًا،
وَالفَجْرُ يَرْحَلُ في الظَّلامِ.
يَبِسَ الكَلامُ عَلى الصَّدى...
يَبِسَ الكَلامُ عَلى الكَلامِ...
صَمْتٌ...
وَغَزّةُ وَحْدَها صَوْتٌ يُدَوّي
بِاسْمِ كُلِّ بَيارقِ الآتي
عَلى أَرْضِ العَرَبْ:
أَنا كُلُّ راياتِ العُروبَةِ في المدى،
وَأَنا الطَّريقُ مِنَ الرَّدى
نَحْوَ الحياةِ – أَنا الحَياةُ
أَنا أَناشيدُ الكَرامَةِ وَالغَضَبْ.
سَأَظَلُّ في عَيْنِ الظَّلامِ مَنارةً
وَيَرُدُّ وَجْهَ الحَقِّ فِيَّ مُقاوِمونْ

يَرِثونَ بالدَّمِ وَحْدَهُ مَجْدَ الشَهادَةِ،
يُقتَلونْ،
وَبِمَوْتِهِمْ تَرِثُ الحَياةُ حَياتَها،
وَبِمَوْتِهِمْ تُحْيي العُروبَةُ ذاتَها،
وَبِمَوْتِهِمْ تَئِدُ الرِّجالُ مَماتَها،
وَسَيُبْعَثونَ مَدى العُيونِ...
مَدى العُيونْ...

***

أَلليلُ يَكْتُبُ بِالدِّماءِ قَصيدَةً
وَيَصوغُ لِلدُّنْيا سَلامًا
ضَوْعُهُ كِبَرٌ وَسُكَّرْ.
صَبٌّ يرُدُّ العارَ عَنْ مَعْشوقَةٍ،
وَيصيحُ في وَجْهِ الدُّجى:
"أَللهُ أَكْبَرْ!"

٦/ ١/ ٢٠٠٩

قصيدة قانا

(أو: نشيد العروبة)

- ١ -

قانا... مَراراتُ النُّبُوّةِ، وَالبُطولَةُ
وَهْيَ تَرْسُمُ لِلزَّمانِ
مَلامِحَ القَدَرِ الجَديدَهْ...
قانا...
مَزاميرُ الشَّهادَةِ... وَالشَّهيدَهْ...
قانا...
دَمُ الشُعَراءِ،
مِحْبَرَةُ القُلوبِ
تَسيلُ في نَبَضاتِها الرُّؤْيا
لِتَنْكَتِبَ القَصيدَهْ...

زَمَنٌ تُوَشِّحُهُ المرارَةُ

وَالعُروبَةُ خاوِيَهْ.
زَمَنٌ تُضَمِّخُهُ الجِراحُ
لِيَرْسُمَ التّاريخَ عَبْرَ "رَبيعِهِ العَرَبِيّ"
مَوْتَ المُرْسَلينَ
وَعارَ سَيْفِ البادِيَهْ...
وَالأَرْضُ دَنَّسَها رَعاعٌ
يَرْفَعونَ عُروشَهمْ فَوْقَ العِظامِ
وَيَجْعَلونَ الموْتَ آياتٍ وَتَلْمودًا
يُنَزِّلُهُ الظَّلامُ...
طُغَمٌ يجمِّعُها الشَتاتُ
عَلى حُدودِ الأَرْضِ في قانا،
وَيُغْريها المقامُ،
وَالقُدْسُ عِرْضٌ مُسْتَباحٌ
في ضَميرِ عُروبَةِ الصَّحْراءِ
حَيْثُ اللهُ أَبْكاهُ التَّزلُّفُ...
والكلامُ...

- ٢ -

غَضَبٌ تجَمَّعَ في قَرارِ الأَرْضِ
مِنْ قَهْرٍ،
وَمِنْ جُرْحٍ تُحاصِرُهُ الخُطوبُ.
غَضَبٌ تَواتَرَ... مُشْبَعًا بِالمَوْتِ في قانا
وَعَرَّشَ في الدَّوالي
ثُمَّ قَدَّسَهُ الجَنوبُ...
غَضَبٌ...
كَأَنَّ حَشاشَةَ الأَرْضِ الَّتي الْتَهَبَتْ بِهِ
انْتَفَضَتْ عَلى عارِ القُعودِ
فَكَدَّسَتْ فيها أَزاهيرَ المدى
وَتَوالَدَتْ مِنْها صُقورٌ تَحْتَمي بِتُراثِها
وَتُراثُها سَيْفٌ يُسَلُّ
لِتَسْتَفيقَ كَرامَةُ الدُّنْيا
عَلى أَرْضِ العَرَبْ —
عرَبٌ... عرَبْ...

عَرَبٌ تَناسَتْ قِبْلَةَ القُدْسِ الَّتي دَنِسَتْ
بِأَقْدامِ المغولِ
لِتَحْفَظَ العَرْشَ المخَلَّعَ في صَحارى الصَّمْتِ
تَحْرُسُهُ سُيوفٌ مِنْ خَشَبْ...
عَرَبٌ تُبيحُ قُعودَها،
وَتُبيحُ مَقْتَلَها،
وَتَغْرَقُ في الخُطَبْ...
تَبَّتْ يَداكَ أَبا لَهَبْ...
أَلْغَرْبُ يَمْرَحُ في حِماكَ
وَفي حِماكَ العارُ يَكبَرْ...
وَعَلى جَبينِكَ لَعْنَةُ التّاريخِ
وَالصَّمْتُ المكَسَّرْ،
لَكِنَّ عَيْنَ اللهِ
تَرْجُمُ عَرْشَكَ المرْقوعَ بِالزُّلَفى
وَيُحْرِقُكَ اللَهَبْ...
أَللهُ أَكْبَرْ...

أَللّهُ أَكْبَرُ مِنْ صُروحِ الظُّلْمِ يَعْضُدُها الذَّهَبْ...
أَللّهُ أَكْبَرُ مِنْ "عَناقيدِ الغَضَبْ"...
أَللّهُ أَكْبَرُ يا عَرَبْ!

- ٣ -

قانا...
سُطورٌ مِنْ دَمِ الشُّهَداءِ،
مِحْبَرَةُ الشَّهادَةِ وَالشَّهيدْ...
قانا...
حُقولُ المجْدِ،
زَوْبَعَةٌ تُعَلّي الأَرْضَ في أَلَقِ النَّشيدْ.
هيَ زَوْبَعَهْ
حمْراءُ تَرْقُصُ في المدى،
تَعْلو الجِهاتِ الأَرْبَعَهْ.
هِيَ زَوْبَعَهْ...
هِيَ جَبْهةُ الفَجْرِ الشَّهيدِ

تُهَدْهِدُ التّاريخَ مِنْ وَلَهٍ،
وَيَحْمِلُها مَعَهْ...
هِيَ سَيْفُ هَذا الشَّرْقِ
يَبْرُقُ في قُلوبِ مُجاهِدينْ
تَتَبارَكُ الدُّنْيا بِصَوْلَتِهِ
وَيُشْرِقُ في الجَبينْ،
وَيُطِلُّ مِنْ صَدَإِ الزَّمانِ الرَّحْوِ.
لَمْ نُبْصِرْ عَلى أَشْلاءِ جُثَّتِنا
سِوى صَمْتِ الفَراغِ المرّ.
لَمْ نُبْصِرْ
سِوى غَضَبٍ تَعَتَّقَ
في العُروقِ وَفي هُوِيَّتِنا،
وَلَمْ نُبْصِرْ سِوانا
حامِلًا جُرْحَ المسيحِ
وَعَهْدَهُ الآتي لِهَذي الأَرْضِ.
آلَفَنَا الرَّدى

وَتَواترَتْ مِنْ حَوْلِنا جُثَثُ الرِّفاقِ،
كَأَنَّما الميثاقُ وَقَّعَهُ دَمٌ،
وَكَأَنّما فُرْقانُنا غَضَبٌ مَديدُ —
ميثاقُنا دَمُنا
وَنَحْنُ القَيِّمونَ عَلى عُروبَتِنا
يُحرِّرُها وَيَرْفَعُها النَّشيدُ.
قانا هُوِيَّتُنا،
قانا صَلاةُ القُدْسِ
في بُحْرانِ أُمَّتِنا،
قانا مَعاريجُ الشَّهادَةِ... وَالشَّهيدُ...

– ٤ –

صَبْرٌ تَعَتَّقَ في عُروقِ الأَرْضِ خَمْرًا
وَالمدى مَوْتٌ مَشاعُ...
وَاللَيْلُ سورٌ حاصَرَ الدُّنْيا
لِيَكْتُبَ بِالرِّياءِ الزّيفَ قانونًا

وَيُخْفِيَهُ قِناعُ...
صَمْتٌ يُزَوْبِعُ حَقَّنا المجْروحَ
في زَمَنِ التَّخَلّي.
زَمَنُ الهَزائِمِ وَالصَّدى يَمْتَدُّ في وَجَعِ التُّرابِ
وَبَدْوُنا ناموا وَضاعوا،
وَالسَّيْفُ مُنْكَسِرٌ عَلى العارِ المُهِلِّ...
هَذا هُوَ التّاريخُ مُنْصَدِعًا
وَقُرْآنُ الشَّهادةِ صامِتٌ... كَالمَوْتِ،
وَالدُّنْيا تُصَلّي
لِإِلَهِها الدَّجّالِ،
لِلْأَصْنامِ في عَمَهٍ مُذِلّ.
زَمَنُ المرارةِ يَسْتَبيحُ كِيانَنا المذْهولَ
وَالدُّنْيا يُمَزِّقُها الغَضَبْ.
زَمَنُ التَّخَلّي... وَالعَرَبْ
أُمَمٌ يُنوِّمُها وَيوقِظُها الطَّرَبْ،
وَالغَرْبُ عَرّابُ القُعودِ

بِبُرْجِهِ العالي المطِلّ.
زَمَنُ التَّخَلّي
زَيَّفَ الدُّنْيا فَشَوَّهَها التَّعَبْ.
زَمَنُ التَّخلّي
حاصرَ التّاريخَ
فَانْهَزَمَ العَرَبْ!

– ٥ –

أَلْقَتْلُ ميثاقٌ... وَقانا
تَزْرَعُ الفُرْسانَ في الصَّمْتِ المديدْ
وَتُشَرّعُ الأَحْلامَ في أَطْفالِنا
لِيُعَمّروا الشَّرْقَ الجَديدْ
وَيُزَنّروا التّاريخَ بِالوَجَعِ المطَهّرِ... وَالشَّهادَهْ –
جيلٌ مِنَ الأَزْهارِ
يُخْصِبُ بِالدَّمِ الفَوّارِ بُورَ الأَرْضِ
كَيْ تَحْلو العِبادَهْ...

طوبى لِمَنْ عَقَدوا عَلى جَبَهاتِهِمْ
نارَ الضَّميرْ.
طوبى لِأَطْفالٍ تُكَسِّرُ ما تَرامى
في وَصايا الزّيفِ مِنْ عارِ القِيادَهْ
وَتَرُدُّ لِلْعَرَبِ الكَرامةَ
وَهْيَ تَرْسُمُ ما تُقَدِّرُ في المصيرْ...
طوبى لِمَنْ كَتَبوا بِسَيْفِ الحَقِّ
تاريخَ القِيامةِ وَالعَبيرْ،
وَبِسَيْفِهِمْ قُدَّ السُّكونْ؛
وَسَيولَدونْ
تَحْتَ الحِجارَهْ.
وَسَيولَدونْ
في كُلِّ حَرْفٍ صِيغَ مِنْ رِئَةِ العِبارَهْ.
وَسَيولَدونْ
بَيْنَ الضَّحايا،
يولَدونَ

مِنَ الشَّظايا،
يولَدونَ
مِنَ الجِهاتِ... مِنَ الزَّوايا...
يولَدونَ
مِنَ اللَهَبْ.
وَسَيولَدونَ
مِنَ الصَّخَبْ.
وَسَيولَدونَ
مِنَ الغَضَبْ.
وَسَيولَدونَ وَيُقْتَلونَ وَيَقْتُلونْ...
وَسَيولَدونَ... وَيولَدونَ... وَيولَدونْ...

قانا...
سُطورُ الشِّعْرِ في تاريخِنا النَّثْرِيِّ،
زَنْبَقَةُ البُطولَةِ... وَالسَّلامْ...

قانا...

رياحُ البَوْحِ في زَمَنٍ
يُحَوِّلُهُ رَمادًا باردًا
صَمْتُ الكَلامْ...

قانا...

حِصانٌ جامِحٌ
يَجْتاحُ أَلْواحَ الوَصايا،
يَكْتُبُ التّاريخُ في عِشْقٍ
وَفي عِشْقٍ يَنامْ...

أرض الغضب
(أو قصيدة سميح القاسم)

غِيَابُكَ فينَا قَوِيٌّ،
وَعيْناكَ يُشْرِقُ ضَوْؤُهُما
في عَميقِ الحُضورْ...
وَتَبقى فِلَسْطينُ عاشِقَةً
سَرَقَتْ وَهْجَها مِنْ جِراحِ العُصورْ...
وتَبقى القَصيدَةُ سَيْفًا
يُقَطِّعُ جِسْمَ الرَّدى،
وَالمدى...
كُلُّ هَذا المدى...
وَجَعٌ يَتَراكَمُ في صَمْتِ أَعْرابِنا
وَضَجيجِ الفُجورْ...

***

يَقولونَ: مُتَّ!
وَأَنْتَ أَشَدُّ حُضورًا مِنَ الحاضِرينَ.
يَقولونَ: مُتَّ!
وَلَكِنَّ أَعْرابَنا في السَّكينَةِ ماتُوا
وَلَمْ يُدْفَنوا...
وَأَنْتَ تُضيءُ، بما قِيلَ مَوْتُكَ،
كُلَّ الزَّوايا،
وَبِالرَّعْدِ، يا "طائِرَ الرَّعْدِ"،
تَسْقي العُروبَةَ روحَ الحَياةِ
وَتَحْرُسُ فيها القَضايا...
وَتَحْفُرُ في السَّمْت،
في قِمّةِ السَّمْتِ،
صَوْتَكَ...
أَعْلى مِنَ الجَبَروتِ الَّذي خَلَّفَتْهُ
ضِباعُ العَدُوِّ
لِيُعْلِنَ أَنَّ الوُرودَ تُقاتِلْ،

وَأَنَّ التَّواريخَ تُكْتَبُ بِالدَّمِ وَالتَّضْحِياتِ،
وَأَنَّ النِّضالَ مَراحِلْ...
وَأَنَّ القِيامَةَ تَعْقُبُ مَوْتًا،
وَأَنَّ العُروبَةَ شَعْبٌ مُناضِلْ...
سَتَكْتُبُ كُلُّ التَّواريخِ عَنْ دَمِنا،
وَسَنَحْفُرُ بِاللَحْمِ وَالعَظْمِ تاريخَنا،
وَنُعَمِّدُ أَيّامَنا بِالشَّهادَةِ،
نَجْعلُ حَتّى الظِّلالَ مَناجِلْ...
سَنَرْفَعُ وَحْدَتَنا في وُجوهِ القَبائِلْ،
وَنُعْلِنُ لِلْغرْبِ وَالشَّرْقِ
أَنَّ القَصيدَةَ نارٌ،
وَأَنَّ حُدودَ السَّماءِ فِلَسْطِينُ وَالقُدْسُ،
وَالرّايةَ العَرَبِيَّةَ قُنْبُلَةٌ
فوقَ رَأْسِ العَدُوِّ،
وَأَنَّ الزُّهورَ لَدَينا قَنابِلْ...

***

غِيابُكَ فينا حُضورٌ قَوِيٌّ
أَشَدُّ حُضورًا مِنَ العَرَبِ المَيِّتِينْ
وَنَحْنُ العَرَبْ
صُخورُ الجِبالِ
وَزَوْبَعَةٌ تَتَأَلَّقُ عَبْرَ فَضاءِ السِّنينْ.
يَقولونَ: مُتَّ! —
وَكَيْفَ يَموتُ الغَضَبْ؟!
ضَجيجُ الكَرامَةِ في القَلْبِ نارُ غَضَبْ،
وَغَزَّةُ في مَلْحَماتِ الصُّمودِ غَضَبْ،
وَدَعْساتُنا في الصُّخورِ غَضَبْ،
وَكُلُّ دَمٍ في الجِراحِ غَضَبْ...
وَلَمْ يَعْرِفوا
أَنَّ بَيْنَ الزَّمانِ
وَبَيْنَ الجِراحِ الَّتي هَدْهَدَتْنا
عَلاقَةُ حُبٍّ عَجَبْ...
وَأَنَّ سِوانا يَبيعُ الكَرامَةَ بِالنَّقْطِ،

يحْمِلُ سَيْفًا خَشَبْ.
نَسَوا، حينَ ذَرَّ بِعَيْنَيْهِمِ الغَرْبُ كِذْبَتَهُ،
أَنَّ طَبْعَ الفَوارِسِ كَالجَمْرِ زَوْبَعَةٌ
تَصْقُلُ الأَرْضَ بِالأَحْمَرِ المتَضَرِّمِ
وَالفَتْحَ سَيْفُ كِتابٍ مِنَ اللهِ
لَمَّ الشُّعوبَ عَلى شَفْرَةٍ مِنْ لَهَبْ...
وَلَمْ يَعْرِفوا
حينَ عاثَتْ ضِباعُ الشَّتاتِ بِقُبّةِ "جِبْريلَ"
أَنَّ الكَرامةَ فينا عَصَبْ،
وَأَنَّ فِلَسْطِين... كُلُّ فِلَسْطِينَ...
أَرْضُ غَضَبْ...!

***

نَموتُ لِنَحْيا،
فَكَيْفَ، إِذًا، قيلَ: مُتَّ!
وَأَنْتَ ضَميرٌ تَوَزَّعَ في قَلْبِ جيلٍ

يَخُطُّ حُدودَ الحَياةِ،
وَتولَدُ في "طائِرِ الرَّعْدِ"،
تَنْبِضُ في رَحِمِ الكَلِماتِ...
تَذوبُ العُروشُ مَعَ الوَقْتِ
وَالفَلْسُ يُخْصي جِباهَ الطُّغاةِ،
وَتَبْقى العُروبَةُ فينا نَشيدًا
يَمُدُّ جُذورَهُ مِنْ قَلْبِكَ المطْمَئِنِّ
إلى قَلْبِنا،
وَنَمْسَحُ بِالدَّمِ عارَ العُروشِ
وَعارَ المساوِمْ.
سَنُرجِعُ لِلشَّرْقِ جَبْهاتِهِ الشّامِخاتِ
لِأَنّا نُقاوِمْ...

الآتي من الحلم

(إلى فخامة الرئيس العماد ميشال عون)

- ١ -

إِباؤُكَ عِطْرٌ
وَصَوْتُ الكَرامةِ فِيكَ ٱلْتَهَبْ،
وَفُتِّحَ فِي خَطْوِكَ الحُلْمُ
يَخْتَرِقُ المسِتَحيلَ
لِيَرْفَعَهُ الشَّعْبُ قَصْرَ لَهَبْ...
فَكَيْفَ يَصيرُ الزَّمانُ زَمانًا
إِذا لَمْ تُوَشِّحْهُ أَنْتَ
بِلَوْنِ الغَضَبْ؟

وَتوغِلُ في الحُلْمِ...
تَفْتَحُ فيهِ المروجَ السَّعيدةَ وَالأُقْحُوانْ...
وَيَنْبُتُ في خَطْوِكَ الأَرْزُ وَالسِّنْدِيانْ...

وَتُنْفى...
لِأَنَّ الإِباءَ يَشيحُ عَنِ العارِ...
تُنْفى...
لِأَنَّكَ حُلْمٌ يُعَرِّشُ في النّارِ...
تَغْدو المنافي... جَميعُ المنافي...
حُضورًا لِصَوْتِكَ يَبْعَثُ مَوْتَ المكانْ،
فَيَنْحَسِرُ الزَّمَنُ المتَكّدِّسُ فَوْقَ الجَليدِ
وَيُلْقي عَلى كَتِفَيْكَ عَباءَتَهُ،
يَنْتَحي جانبًا...
كَيْ يُكَلِّلَ رَأْسَكَ تاجُ أَبَدْ.
تَصيرُ كَثيرًا...
كَثيرًا كَثيرًا...
وَأَنْتَ أَحَدْ.
تَعودُ
وَتَفْتَحُ مِنْ قلْبِكَ الحُلْمَ زَوْبَعَةً
مِثلَ صَوْتِ القَضاءْ.

تَعودُ مِنَ الحُلْمِ
أَكْثَرَ ضَوْءًا مِنَ الضَّوْءِ،
تَرْفَعُ عَنّا ٱنْفِلاتَ الهَباءْ،
وَانْفِجارَ الشَّجَنْ
وَتَرْحَلُ في الشَّعْبِ،
في كُلِّ أُمٍّ وَطِفْلٍ...
لِتَجْعَلَ مِنْ كُلِّ قلبٍ
حُدودَ الوَطَنْ...

- ٢ -

إِباؤُكَ عِطْرٌ
وَأَنْتَ ٱمْتدادُ المنى
حَيْثُ يَخْتَرِعُ الحُلْمُ أُرْجوحَةَ المسْتَحيلِ...
إِباؤُكَ لَوْنُ الضِّياءِ
ٱلَّذي عَتَّقَ الحُلْمَ مِثْلَ نَبيذٍ
فَأَسْكَرَنا في جُموحٍ طَويلِ.

وَكُنْتَ اخْتَصَرْتَ رُؤانا جَميعًا
بِوَقْفَةِ عِزٍّ،
وَسافَرْتَ في رُؤْيا النّاسِ...
كُنْتَ النَّشيدَ الَّذي عَلَّمَ الفَجْرَ
أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ فيهِ
لِيَزْرَعَ سَوْسَنَهُ في ٱنْفِتاحِ السَّبيلِ...
كُنْتَ رَعْدًا يُعَلِّمُنا
كَيْفُ نَغْزِلُ خَيْطَ الحَياةَ منَ الدَّمِ
حِينَ يُبَرْعِمُ في الموْتِ وَجْهُ الشَّهيدِ القَتيلِ...
وَلَمّا رَأَيْتَ التُّرابَ يَصيرُ يَتيمًا
وَيُنْبِتُ زَهْرَ الغِيابِ
خَرَجْتَ مِنَ الحُلْمِ
كَي تَمْسَحَ الأَرْضَ بِالخِصْبِ،
تُنْزِلَ فَوْقَ التُّرابِ المطَرْ،
وَتَفْتَحَ نافِذَةَ الضَّوْءِ في قَلْبِ هَذا العَماءْ،
وَيَرْعُدُ صَوْتُكَ فيهِ قَدَرْ...

تَشُقُّ الزَّمانَ الَّذي كَدَّسَ العارَ
وَاخْتارَ أَنْ يَزْحَفَ النّاسُ زُلْفى
وَأَنْ يَتَصَدَّعَ في طَبَقاتِ العَفَنْ
وَجْهُ هَذا الوَطَنْ...
تَشُقُّ الزَّمانَ...
لِيَخْرُجَ مِنْ حُلْمِنا
أَلَقًا وَسَناءْ،
وَآخَيْتَ بَيْنَ الشَّهادةِ والمسْتَحيلِ،
خَرَجْتَ مِنَ الحُلْمِ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ...
لِتَجْعَلَ في كُلِّ قلْبٍ حُدودَ السَّماءْ.

- ٣ -

رَحَلْتَ إِلى الخَلْقِ...
مَنْفاكَ كانَ الرِّسالَةَ لِلْكَوْنِ
مِنْ أَوَّلِ المسْتَحيلِ...
إِلى قُبْلَةِ الحُلْمِ...

مَنْفاكَ كانَ ابْتِداءَ سُقوطِ الطُّغاةِ
وَبَوّابَةَ الغَضَبِ المتَأَلِّقِ
يَغْسِلُ فينا الرَّبيعْ.
كَتَبْتَ بِلَوْنِ إِبائِكَ أَنْتَ
رَسائِلَ لِلْكوْنِ أَنَّ النَّجيعْ
مِنْ عُروقِ الشَّهادَةِ حِبْرٌ
يُعيدُ الحياةَ إِلى الأَرْضِ بِكْرًا،
وَلَوْنُ إِبائِكَ قافِيَةُ الأَرْزِ
حينَ يَصيرُ الفَضاءْ
مَدًى لِاخْتِراقِ المسافَةِ
بَيْنَ الخُلودِ وَبَيْنَكَ
حَيثُ تُضاءُ قَناديلُهُ
في ٱمْتِدادِ الفِداءْ...
تُهاجِرُ... حَتّى نِهايَةِ قَلْبِكَ
في الوَطَنِ البُرْتُقالِيّ...
تَسْقيهِ نُسْغَ الكَرامَةِ،

تَرْفَعُ عَنْهُ الصّدى وَالخِواءْ
وَتُطْعِمُ هَذا المدى
ٱلمكْتَسي بُرْتُقالَ الشَّهادةِ وَجْدَكَ،
تَمْسَحُ فيهِ الجِراحَ،
تُضَمِّدُها بِصَليبِكَ
عَبْرَ المجالِ الفَسيحْ
وَتَحْمِلُ في قَلْبِكَ الوارِفِ
وفي جَنْبِكَ النّازِفِ
وفي قَدَمَيْكَ
وَبَيْنَ يَدَيْكَ
جِراحَ المسيحْ...

- ٤ -

يَنامُ الزَّمانُ عَلى كَتِفَيْكَ وَقَدْ صارَ نارًا،
وَقَلْبُكَ يُشْرِقُ
في أَعْيُنِ النّاسِ قَوْسَ قُزَحْ،

وَالمدى... كُلُّ هَذا المدى...
يَتَدَفَّقُ عَبْرَ الدُّروبِ بِلَوْنِ الفَرَحْ...
يَعودُ الزَّمانُ الَّذي شاخَ فينا فَتِيًّا،
يَسيرُ عَلى صَفْحَةِ الماءِ نَحْوَ التَّلاميذِ...
مِنْ حَقِّنا أَنْ نُغَنّي،
وَأَنْ نُشْعِلَ الأَرْضَ
خَلْفَ حُدودِ التَّمَنّي،
وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نُحِبَّ كَثيرا،
وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نَعيشَ كَثيرا،
وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نَكونَ كَثيرًا... كَثيرا...
وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نُعَبِّدَ
بَيْنَ الإِلَهِ وَبَيْنَكَ هَذي المسافَةَ،
أَنْ نَمْلَأَ الوَقْتَ بِالحُلْمِ،
أَنْ نَسْتَفيقَ عَلى النّورِ في بَلَدٍ
صارَ، مُنْذُ رَجِعْتَ، لَنا...
سَقَّيْنا وُرودَهُ مِنْ دَمْعِنا،

ومِنْ حَقِّنا
أَنْ نَرُشَّ جَمالَ الأَساطيرِ في دَمِنا...
كُلُّ أُسْطورةٍ في يَدَيْكَ
تُعيدُ بِناءَ التّواريخِ،
تَحْمِلُ لَحْنَ الحَياةِ
بِمَعْزوفَةٍ مِنْ سَناءْ...
وَعَزْمُكَ، إذْ تَصْدَحُ النّارُ فيهِ،
يُعيدُ بِناءَ الكَرامَةِ
في وَطَنٍ قَيَّدوهُ بِهَوْلِ الرِّياءْ،
لِيَغْدُوَ في كُلِّ صَخْرٍ ثَباتَ مُريدٍ،
وَفي كُلِّ قَلْبٍ حُضورَ شَهيدٍ،
وَفي كُلِّ أَرْضٍ سَماءْ...

***

إِباؤُكَ عِطْرٌ
وَصَوْتُ الكَرامةِ فِيكَ الْتَهَبْ،

وَفُتِّحَ فِي خَطْوِكَ الحُلْمُ
يَخْتَرِقُ المستَحيلَ
لِيَرْفَعَهُ الشَّعْبُ قَصْرَ لَهَبْ...
فَكَيْفَ يَصيرُ الزَّمانُ زَمانًا
إِذا لَمْ تُعَمِّدْهُ أَنْتَ
بِماءِ الغَضَبْ؟

فهرس المحتويات

السندباد يعود إلى خرائب بيروت ص ١
قصيدة خليل حاوي (أو سمفونية الغضب) ص ٥
برج العار (أو قصيدة إسرائيل) ص ٢١
الكهف (أو نشيد الظلام) ص ٣٥
جسر النار (أو قصيدة رفيق الحريري) ص ٤٧
قصيدة جبران التويني (أو سمفونية الشهادة) ص ٦١
النشيد البرتقالي (أو قصيدة العماد عون) ص ٧١
باب جهنم ص ٨٣
زهرة الدم (أو قصيدة بيار الجميّل) ص ٩٥
نشيد النضال (أو قصيدة محمود درويش) ص ١٠٥
قصيدة غزّة ص ١١٧
قصيدة قانا (أو نشيد العروبة) ص ١٢٩
أرض الغضب (أو قصيدة سميح القاسم) ص ١٤١
الآتي من الحلم ص ١٤٧

بُرْجٌ مِنَ الموْتِ الدَّؤوبْ
مَدّوا بِقَرْنَيْهِ إِلى صَدْرِ السَّماءِ تَحَدِّيًا
وَتَذَلَّلوا فيهِ لِبَعْلٍ بِاسْمِ تَلْمودٍ تُرَقِّعُهُ الضَّحايا
سَمَّوْهُ "إِسْرائيلَ" في خُبْثِ الطَّوِيَّةِ وَالحَكايا،
وَكَأَنَّما موسى وعيسى وَالرَّسولُ
صُلِبوا عَلى مَوْتٍ يَطولُ،
وَكَأَنَّما الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا نِثارٌ بائِدٌ،
وَكَأَنَّ وَجْهَ اللهِ صَحْراءٌ
وَصَمْتٌ،
وَأُفولُ...